السياق القرآني وأثره
في تحديد معنى المشترك اللفظي
(لفظة آل أنموذجاً)

بحث مقدم من /

عائشة سالم محمد يوسف

مدرس أصول اللغة،

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات.

مدينة السادات، جامعة الأزهر.

السياق القرآني وأثره في تحديد معنى المشترك اللفظي (لفظة آل أنموذجًا)

عائشة سالم محمد يوسف

قسم أصول اللغة، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالسادات، جامعة الأزهر، السادات، مصر

البريد **الإلكتروني:** Aeshasalem.٤١٩@azhar.edu.eg

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى تحديد المراد من لفظة (آل) وفق السياق التي ترد فيه، فالسياق يقوم في أحيان كثيرة بتحديد الدلالة المقصودة من الكلمة في جملتها، وقد أشار القدامى إلى أهمية السياق أو المقام وتطلّبه مقالًا مخصوصًا يتلاءم معه، وقالوا عبارتهم الموجز الدالة «لكل مقامٍ مقال»، وعلى هذا فإنه لا يمكن لأحد أن يعرف مدلول أي لفظة دون أن تكون في سياقها، لا سيما إذا كانت هذه اللفظة من الألفاظ المشتركة التي تعد سببًا رئيسًا في التوسع الدلالي لألفاظ اللغة،لا سيما تلك التي تنوعت معانيها واتسعت.

وقد اتبعت المنهج الوصفي بأداتيه (الإحصاء، والتحليل) في جمع الآيات التي ورد فيها لفظ (آل) والتي تعد بمثابة السياقات المختلفة التي ورد فيها اللفظ، وتعدد معناه، ثم قمت بدراستها وتحليلها.

وقد توصل البحث إلى نتائج أهمها:

– أن هذه اللفظة تعد من الألفاظ المشتركة، والتي يمكن أن يعبر عنها بالألفاظ الجامعة التي لها معنى جامع عام وهو (الأهل)، ثم تفرع هذا المعنى العام إلى معانٍ فرعية يحددها السياق الذي ترد فيه.

– أن لفظة (آل) تستعمل في كل ما يختص بالإنسان سواء أكان بالقرابة أم بالاتباع والموالاة، أي أن هذه اللفظة تجمع أقارب الإنسان، وأتباعه.

الكلمات المفتاحية: السياق القرآني، الدلالة، المشترك اللفظي، لفظة (آل).

Qur'anic context and its effect in determining the meaning of Homonymy the verbal participant) (the word ‘Aal’ as a model)

Aesha Salem Mohammed Yosof

Department of Language Origins, Faculty of Islamic and Arabic Studies for Girls - Sadat City, Al-Azhar University, Monufia, Egypt.

, Egypt.

Email: Aeshasalem.٤١٩@azhar.edu.eg

Abstract:-

This research aims at determining the meaning of the word ‘Aal’ according to the context in which it is mentioned, the context often determines the meaning of the word. The old people have referred to the importance of the context because it requires a special phrases and words to express meanings. The old people said a brief and useful phrase like a proverb “To every context a saying”.

Thus, no one can know the meaning of any term without being in a context, especially if this is a common and diversified language that is considered a major reason for the semantic expansion of language.

I have followed the descriptive approach using its statistic and analytic tools in collecting the verses in which the word "Aal" is mentioned, which are different contexts in which the word is mentioned in multiple meanings. Then I analyzed and studied these verses carefully.

Important results:

- This is a common term (language) that can be expressed in collecting words which have a general collective meaning, namely, the root. This general meaning then subsume to sub-meanings governed by its context. The term "Aal" is used in all human subjects, whether by kinship, followers or loyalty, i.e. this term brings together the relatives and followers of man.

Key words: Qur'anic context , semantics (significance) ,Homonymy, the word ‘Aal’.

بسم الله الرحمن الرحيم

ـ المقدمــة

الحمد لله فاتحة كل خير، وتمام كل نعمة، الحمد الله الداعي إلى بابه، الموفق من شاء لصوابه، أنعم على خلقه بإنزال كتابه بلسان عربي مبين جلّ أن يشابه كلام المخلوقين، أحمده سبحانه وتعالى حمدًا طيبًا مباركًا فيه، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ـ، أفصحِ العرب لسانًا، وأبينِهم حُجة، وأقومِهم عبارة، وأرشدِهم سبيلًا، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم .

وبعــدُ :-

فإن الناظر في كتاب الله تعالى يلحظ أنه تعالى قد"اختار الصوت المناسب للفظ المناسب في الموقع المناسب، بما يوحي باستقلالية الكلمة المختارة لدلالةٍ أعمق وإشارةٍ أدق؛ بحيث يتعذر استبدال ذلك بسواه؛ إذ لا يؤدِي غيره مراده، وهذا مَعْلَم واضح من معالم الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم "[1] ، وإن من أعظم مظاهر إعجازه تعدد دلالة اللفظ الواحد في سياقات متعددة ، أو استعمال اللفظة الواحدة في مواضع متعددة بأكثر من معنى، وهو ما يعرف (بالمشترك اللفظي)الذي يتحدد معناه عن طريق علاقة اللفظ بغيره من الألفاظ داخل السياق ، وهذه "العلاقة تجعله صالحًا لأداء معنى معين، وإذا وجد نفس اللفظ في سياق آخر فتكون له علاقة بألفاظ

(١) الصوت اللغوي في القرآن / د. محمد حسين علي الصغير / دار المؤرخ العربي . بيروت . لبنان / ١٤٢٠ هـ . ٢٠٠٠ م. صـ٢٠٤ .

أخرى تختلف عن الألفاظ الموجودة في السياق الأول، فيؤدي نفس اللفظ معنى آخر، أي أن السياق يؤدي دورًا بارزًا في الوصول إلى المعنى الدقيق لأية كلمة، ومن ثم كانت العناية بالمقام أو سياق الحال إضافة إلى سياق اللفظ ضرورية للوصول إلى المعنى الدقيق للفظة ؛ لأن الكلمة إذا أُخذت بمعزل عن السياق اللفظي أو الحالي كانت محتملة لصنوف من المعاني "[1]، وعلى هذا فإن السياق يقوم في أحيان كثيرة بتحديد الدلالة المقصودة من الكلمة في جملتها، ومن قديمٍ أشار العلماء إلى أهمية السياق أو المقام وتطلّبه مقالًا مخصوصًا يتلاءم معه، وقالوا عبارتهم الموجزة الدالة «***لكل مقامٍ مقال***[2] »، وعلى هذا فإنه لا يمكن لأحد أن يعرف مدلول أي لفظ دون أن يكون في سياقه، لا سيما إذا كان هذا اللفظ من الألفاظ المشتركة التي تعد سببًا رئيسًا في التوسع الدلالي لألفاظ اللغة، لا سيما تلك التي تنوعت معانيها واتسعت.

وقد بحث العلماء في معاني ألفاظ القرآن الكريم في جميع الآيات التي وردت فيها، وجعلوا هذه الآيات بمثابة السياقات المختلفة التي ورد فيها

---

(١) دراسة المعنى عند الأصوليين / د. طاهر حمودة / الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع . الإسكندرية .صـ ٢١٥ / د. ت.

(٢) أي أن لكل أمرٍ أو فعلٍ أو كلام موضعًا لا يوضَعُ في غيره، ومنه قول الحطيئة يمدح عمر بن الخطاب ويعتذر من هجاء الزبرقان (من المتقارب) :

تحنَّنْ عَلَىَّ هَدَاكَ المَلِيكُ ... فَإِنَّ لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالاً

أي :أحسِنْ إلي حتى أذكرك في كل مقام بحُسْن فعلك./ ينظر /ديوان الحطيئة صـ١٠٦ / دار المعرفة / بيروت . لبنان ، وينظر / مجمع الأمثال/ أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري (٥١٨هـ)/ تح.: محمد محيى الدين عبد الحميد/ دار المعرفة – بيروت، لبنان / (٢/ ١٩٨)..

اللفظ ؛ ولهذا تعدد معناه، وبقياس هذا على لفظة (آل) التي وردت في مواضع عديدة في القرآن الكريم حيث وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم (ستًا وعشرين) مرة بمعانٍ مختلفة يتضح دور السياق في تحديد المعنى الدقيق لهذه اللفظة؛ حيث إنها وردت مع (جنود فرعون) الذين يسومون الناس سوء العذاب، ووردت مع (قوم مصر) الذين أُخذوا بالسنين ونقص من الثمرات ، ووردت مع (ابن عم فرعون). على أرجح الأقوال . الذي كان يكتم إيمانه، وقال ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ ﴾[غافر:٢٨]، ووردت مع (خدم فرعون وحشمه) الذين التقطوا الصندوق الذي فيه موسى . عليه السلام. ، ووردت مع لوط . عليه السلام. وابنتيه الذين قال فيهم قوم لوط ﴿أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [النمل:٥٦] ، ووردت مع ذرية (إبراهيم. عليه السلام. ، وذرية عمران) الذين اصطُفَوا على العالمين ، وأخيرًا وردت مع (موسى وهارون . عليهما السلام .) للدلالة على أن ما في التابوت إنما هو لشخصيهما دون غيرهما،ومع (داود . عليه السلام .) للدلالة على المبالغة في التكليف والاجتهاد في الطاعة شكرًا لله على أنعمه الكثيرة التي منها (سليمان . عليه السلام.)

ولما كان موضوع هذا البحث خاصًا بلفظة من الألفاظ المشتركة ، وكان التعرف على المعاني المتعددة لهذه اللفظة لا يتأتى إلا من القراءة الواعية العميقة في كتب التفاسير واللغة آثرت أن يكون موضوع هذا البحث في المشترك اللفظي ليكون محاولةً للكشف عن مدى استيعاب هذه اللفظة لتلك المعاني، وهل التعبير القرآني لهذه اللفظة تحديدًا دون غيرها من المترادفات له أثر في تحديد المعنى الدقيق المراد؟ يضاف إلى ذلك أن هذه اللفظة تحديدًا من الألفاظ التي طالما أثارت تساؤلات في نفسي كلما مررت

بسياقاتها في القرآن الكريم ، وللإجابة عن هذه التساؤلات كان هذا البحث الذي اعتمدت فيه على المنهج الوصفي التحليلي؛ حيث قمت بعرض سياق الآيات التي وردت فيها هذه اللفظة ، ثم قمت بتحليل هذه الآيات في ضوء أقوال المفسرين واللغويين مع وضع السياق اللغوي أو الخارجي في الاعتبار، وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن يأتي في مقدمة، وتمهيد، ومبحثين وخاتمة، وفهارس متنوعة لتسهيل عملية البحث، أما المقدمة **فعرَّفت فيها** بموضوع البحث، وأسباب اختياري له، وخطة البحث وتقسيمه، وأما التمهيد وعنوانه : السياق،والمشترك اللفظي، ولفظة (آل) (المفهوم والتأصيل)، وأما المبحث الأول وعنوانه (أثر السياق في تحديد معنى لفظة (آل) مع فرعون) ، وأما المبحث الثاني وعنوانه (أثر السياق في تحديد معنى لفظة (آل) مع بعض الرسل) ، تم تأتي الخاتمة لتتناول أهم النتائج التي توصل البحث إليها، ثم الفهارس المتنوعة لتسهيل عملية البحث.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل""

ـ التمهـــــــــيد

(السياق ـ المشترك اللفظي ـ لفظة(آل)(المفهوم والتأصيل):ـ

أ ـ مفهوم السياق والتأصيل له :ـ

السياق في اللغة :ـ

بالنظر في كتب اللغة يتضح أن لفظة (السياق) مأخوذة من الأصل اللغوي (السين، والواو، والقاف)الذي يدل على:حدو الشيء، يقال: ساق يسوق سوقًا "[١].

" وتساوقت الإبل: تتابعت، وهو يسوق الحديث أحسن سياق، وإليك يُساق الحديث ، وهذا الكلام مساقه إلى كذا، وجئتك بالحديث على سوقه: على سرده." [٢]، وقد مثَّل (ابن منظور) لهذا التتابع بقوله :" يقال ولدت فلانة ثلاثة بنين على ساق واحدة أي بعضهم على إثر بعض ليس بينهم جارية، ووُلِد لفلان ثلاثة أولاد ساقًا على ساق،أي: واحد في إثر واحد..." [٣] أي: أن هؤلاء البنين بينهم تتابع ، واتفاق ، واتساق في النوع ولم يُفصل بينهم بجارية.

يتضح من هذا أن كتب اللغة تناولت المعنى الحسي للفظة وهو:(حدو الإبل)، يقال:"حدا بإبله: زجر بها وغنَّى لها"[٤]، فانساقت معه في

---

(١) مقاييس اللغة/ ابن فارس /تح.: عبد السلام محمد هارون /دار الفكر/ ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م./ (٣/ ١١٧) (س و ق).

(٢) أساس البلاغة/ للزمخشري(٥٣٨هـ)/ تح: محمد باسل عيون السود/ دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان/ ط١، ١٤١٩ هـ = ١٩٩٨ م/ (١/ ٤٨٤) (س و ق) .

(٣) لسان العرب/ ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (٧١١هـ)/دار صادر – بيروت /ط٣/ ١٤١٤ هـ / (١٠/ ١٦٩) (س و ق).

(٤) مقاييس اللغة (٣/ ١١٧) (ح د ا).

تتابع واستواء بحدائه، وكأن بين الحادي وإبله نوع من الانسجام والتوافق والتواؤم، هو يحدوها ويسوقها ويهزها ويحركها في سيرها بحدائه وهي تطرب لحدوه وتنساق في تتابع واستواء [١] .

ثم انتقل هذا المعنى الحسي إلى الكلام والحديث فصار سوق الحديث يطلق على تتابعه واتصال أجزائه ببعضها أخذًا من حالة الانسجام بين الحادي وإبله ، ولكن هذا الانسجام والتوافق هذه المرة يكون بين المتكلم ، والمخاطب ، والكلام ، وهذا ما أشار إليه (الزمخشري) سابقًا بقوله :" وهو يسوق الحديث أحسن سياق، وإليك يُساق الحديث ، وهذا الكلام مساقه إلى كذا، وجئتك بالحديث على سوقه: على سرده "، وكأنه بذلك يشير إلى عناصر السياق وهي (المتكلم ، والمخاطب ، والكلام)، وما يكون بينهم من علاقة لتحقيق معنى التتابع والاتصال بين عناصر النص ، كما أنه جعل سوق الحديث بمعنى سرده ، والسرد أن " يأتي بالشيء متسقًا بعضه في إثر بعض متتابعًا..." [٢] ، وسرَد الحديثَ والقراءة "جاء بهما على ولاء (أي موالاة وتتابع) " [٣]، إذا تابع حديثه، " وفلان يسرد الحديث سردًا إذا كان جيد السياق له" [٤] .

وها هو (ابن منظور) يُفصِّل القول، ويضيف إلى لفظة (التتابع) لفظة (التقاود) ،فيقول :" وقد انساقت وتساوقت الإبل تساوقا إذا تتابعت،

---

(١) ينظر هذا المعنى في لسان العرب (٥/ ٤٢٤) (هـ ز ز) .

(٢) المحكم والمحيط الأعظم / ابن سيده المرسي [٤٥٨هـ]/تح.: عبد الحميد هنداوي/ دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م (٨/ ٤٤٧) (س ر د) .

(٣) أساس البلاغة (١/ ٤٤٩) (س ر د) .

(٤) لسان العرب (٣/ ٢١١) (س ر د) .

وكذلك تقاودت فهي متقاودة ومتساوقة " [1]، وكأن الإبل في تساوقها يقود كل منها الآخر في تتابع وتوافق ، ومنه حديث أم معبد « ***فجاء زوجها يسوق أعنزًا ما تساوق***[2] » أي ما تتابع. والمساوقة: المتابعة كأن بعضها يسوق بعضا.

وبهذا يتضح أن السياق يدور حول معنى التتابع والاتصال، فسياق الكلام تتابع واتصال أسلوبه الذي يجري عليه.

▪ السياق في الاصطلاح :▪

أما عن مصطلح (السياق) فلم يبعد كثيرًا عن التعريف اللغوي له ، فقد استعمل العلماء[3] هذه اللفظة بما يتفق مع التعريف اللغوي لها، فها هو صاحب كتاب (إحكام الأحكام) يقول:" أما السياق والقرائن: فإنها الدالة على مراد المتكلم من كلامه، وهي المرشدة إلى بيان المجملات، وتعيين المحتملات. فاضبط هذه القاعدة. فإنها مفيدة في مواضع لا تحصى"[4]، وهو بهذا يشير إلى أهمية السياق في تحديد مراد المتكلم ، وبيان المجمل ، وتحديد المعنى المراد من المعاني المحتملة ، ثم يأتي صاحب تفسير

---

(١) لسان العرب (١٠/١٦٦) (س و ق).

(٢) حَدِيثٌ صَحِيحُ الإِسْنَادِ ينظر/ المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري المعروف بابن البيع (٤٠٥هـ)/تح. مصطفى عبد القادر عطا/ دار الكتب العلمية – بيروت/ط١، ١٤١١ هـ- ١٩٩٠م (٣/ ١٠).

(٣) كالزركشي في البرهان في علوم القرآن (١/ ٣١٧)، وابن القيم في بدائع الفوائد(٤/ ٩) ، وابن تيمية في مجموع الفتاوى(٦/ ١٤).

(٤) إحكام الإحكام شرح عمدة الأحكام/ ابن دقيق العيد/ مطبعة السنة المحمدية/ د. ت. (٢/ ٢١).

(المنار) فيوضح آلية تطبيق قرينة (السياق) بقوله :" والأحسن أن يفهم اللفظ من القرآن نفسه بأن يجمع ما تكرر في مواضع منه وينظر فيه، فربما استعمل بمعان مختلفة...، ويحقق كيف يتفق معناه مع جملة معنى الآية فيعرف المعنى المطلوب من بين معانيه، وقد قالوا: إن القرآن يفسَّرُ بعضُه ببعض، وإن أفضل قرينة تقوم على حقيقة معنى اللفظ موافقته لما سبق من القول، واتفاقه مع جملة المعنى، وائتلافه مع القصد الذي جاء له الكتاب بجملته" (١)

وكأن الشيخ (رشيد رضا) هنا يشير إلى أركان السياق المتمثلة في :.

. السوابق :. وهي الكلام الذي يُبيِّن معنى ما بعده ، وهذا الركن مهم في بيان معنى السياق وحقيقته، فلا يمكن التعرف على معنى الكلام بدون الرجوع إلى ما يسبقه من عبارات تشتمل على القرائن المؤدية للمعنى.(٢)

. اللواحق :. وهي الكلام الذي يبين معنى ما قبله ، فكثير من الألفاظ يتحدد معناها من خلال ما يلحقها من عبارات تشتمل على القرائن المؤدية للمعنى.(٣)

---

(١) تفسير المنار / محمد رشيد بن علي رضا (١٣٥٤هـ)/الهيئة المصرية العامة للكتاب/ ١٩٩٠ م/(١/ ٢٠).

(٢) وذلك كما في قوله تعالى. ﴿فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرۡعَوۡنَ لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّٗا وَحَزَنًاۗ﴾ [القصص:٨] فآل فرعون هنا هم من يقومون بملازمته ومصاحبته كالجواري والعبيد والجنود ، والذي سوَّغ هذا المعنى دون غيره من معاني اللفظة ، صيغة (افتعل) (التقط) التي تأتي بمعنى (التصرف والاجتهاد في تحصيل الفعل) ، كما أن حدث الالتقاط نفسه لا يتأتى غالبًا إلا من مثل هذه الطائفة من الناس .

(٣) وذلك كما في قوله تعالى . ﴿ وَقَالَ رَجُلٞ مُّؤۡمِنٞ مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَكۡتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ ﴾ [غافر:٢٨] ، فآل فرعون هنا يقصد بهم أقرباؤه المقربون ؛ بل إن المفسرين نصوا على ==

. نظم الجملة الواحدة، ثم نظم الجمل وعلاقاتها بالقصد الذي جاء به الكاتب

ويقصد بذلك كما يقول البلاغيون (مراعاة الكلام لمقتضى الحال).

ثم توالت استعمالات العلماء واللغويين للفظة السياق بهذا المعنى كلٌ في مجاله [1] ، فكانوا يطلقون اللفظة ويريدون منها التتابع ، والاتصال، والترابط في التراكيب والنظم الذي ينتج عنه انتظام الكلام على وتيرة واحدة في جمله وعباراته حتى يصبح هذا التتابع سياقا من الكلام يتبع بعضه بعضا في نظمه[2].

وهذا التتابع والاتصال يمكن أن يتأتى من وجود عناصر لغوية داخل النص وهذه أطلق عليها العلماء (السياق اللغوي) كما أنه يمكن أن يتأتى من وجود عناصر خارجية محيطة بالنص، وهذه أطلق عليها العلماء(السياق الخارجي) أو سياق الحال ، وعلى هذا فإن السياق يشتمل على عناصر دلالية تستفاد من المقال والمقام جميعًا.

==

أن هذا المؤمن قبطيًا ابن عم لفرعون آمن سرًا ، والذي يرجح هذا المعنى دون غيره من معاني الآل المحتملة أن فرعون استمع لكلامه ولم يقتل موسى . عليه السلام . ، كما أنه خاطبهم بعد ذلك بقوله ﴿**يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ** ﴾ **[غافر:٢٩]** ؛ حيث أضافهم إلى نفسه فقال (يا قوم) وهذا دليل على أنه كان قبطيًا وليس من بني إسرائيل .

(١) ينظر في ذلك/ الكليات (ص: ٦٠١) ، وكشاف اصطلاحات الفنون والعلوم (٢/ ١٤٢٨) ، وتاج العروس (٣٢/ ٢٧٥)(ر ق م) ومعجم الصواب اللغوي (٢/ ٩٣٣) ، ومعجم اللغة العربية المعاصرة (٢/ ١١٣٩).

(٢) هذا المعنى مستشف من حديث العلماء . الذين سبقت الإشارة إليهم ـ عن السياق.

ويمكن تقسيم السياق تبعًا لذلك إلى :.

أ :. السياق اللغوي : وهو المستفاد من عناصر مقالية داخل النص

ب:. السياق الخارجي: وهوالمستفاد من العناصر غير اللغوية التي تصاحب النص" [١]

****أما عناصر (السياق اللغوي) المكونة للحدث اللغوي فتتمثل في :.***

. البيئة اللغوية التي تحيط بالوحدات الصوتية (صوت أو فونيم)، والوحدات الصرفية(صيغة أو مورفيم)، والكلمات التي يتحقق بها التركيب والسبك.

ـ طريقة ترتيب هذه العناصر داخل التركيب [٢]، فمعاني الكلمات تتحدد من خلال موقعها داخل الجمل، ويقوم السياق وكذلك وضع الكلمة في موقعها داخل التركيب اللغوي بتحديد دلالة الكلمة تحديدًا دقيقًا مهما تعددت معانيها ويصرف تلك المعاني التي تؤدي إلى الالتباس والغموض .

---

(١) ينظر في ذلك دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث د./ عبد الفتاح البركاوي صـ ٣٠ .

(٢) لا شك أن ترتيب العناصر اللغوية داخل الجملة يساعد في تحديد معنى الكلام، كما يساعد على تحديد أسلوب الكلام، فقد يخالف ظاهره المقصودبه، فيأتي التعبير بالماضي والمقصود به المضارع، أو العكس، وقد يكون ظاهره الخبر والمقصود به الإنشاء ، كما أنه لا يمكن إنكار تأثير دلالة السياق على العناصر النحوية من حيث الذكر والحذف، والتقديم والتأخير. ولا يُنكر أن دلالة السياق تجعل الجملة ذات الهيئة التركيبية الواحدة بمفرداتها نفسها إذا قيلت بنصها في مواقف مختلفة، تختلف باختلاف السياق الذي ترد فيه / ينظر في تفصيل ذلك أصول النظرية السياقية عند علماء العربية ودور هذه النظرية في التوصل إلى المعنى/ د. محمد سالم صالح / أستاذ النحو والصرف والعروض المساعد/ قسم اللغة العربية/ كلية المعلمين بمحافظة جدة. / صـ٣ .

- طريقة الأداء اللغوي المصاحبة للجمل أو ما يطلق عليه التطريز الصوتي[١] ، و ظواهر هذا الأداء المصاحب المتمثلة في النبر، والتنغيم ، والفاصلة الصوتية [٢]

*** وأما عن عناصر (السياق الخارجي[٣]) فهي عديدة، منها:.**

. ***المتكلم نفسه***: هل هو ذكر أم أنثى؟ واحد أم اثنان أم جماعة وبعض الصفات التي يتصف بها وتميزه عن غيره.....

---

(١) لا يخفى أن طريقة الأداء تساعد في تحديد المعنى الدقيق للنص، وليس المحتمل، فمثلًا أداء كلمة (ذق) في قوله تعالى ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾[الدخان:٤٩] ، لا بد أن يكون منبورًا شديدًا، وكذلك التوكيد في)(إنك)، ثم نغمة التهكم والسخرية في(العزيز الكريم)؛ لأن سياق الآيات يحتم أداءها بهذه الطريقة التي توحي بأن هذا الذي يدعي العزة والكرامة في الدنيا سوف يقتلع من مكانته هذه ويلقى في سواء الجحيم.

(٢) ينظر في ذلك أصول النظرية السياقية عند علماء العربية صـ٥.

(٣) قسَّم بعض العلماء السياق إلى عدة أقسام (السياق اللغوي ، والسياق العاطفي ، وسياق الموقف (الحال) ، والسياق الثقافي) ، ولا شك أن في هذا التقسيم تعسف ظاهر ، وتفتيت متكلف لا حاجة له ، ؛ لأن السباق نوعان لا ينفصلان ، (سياق لغوي) يعتمد على الكلام المنطوق داخل النص ، (وسياق خارجي أو سياق الموقف أو سياق الحال) ، وهذا يعتمد على الظروف الخارجية الملابسة للحدث الكلامي ، وهذه الظروف تشمل بدروها بقية أنواع السياق ، فقد تكون ظروفًا اجتماعية ، أو عاطفية ، أو ثقافية أو غير ذلك ؛ لأنه لا يمكن فصل الانفعالات الخاصة بالمتكلم أو المخاطب ، أو فصل الظروف الاجتماعية، أو المستوى الثقافي عن الموقف الكلامي. / ينظر تفصيل ذلك في / علم الدلالة دراسة نظرية تطبيقية . د. فريد عوض حيدر /صـ١٨١ .

ومنها: المستمع ، وعلاقته بالمتكلم من حيث القرابة، أو الصداقة ، أو المعرفة السطحية ....

ومنها: موضوع الكلام، وفى أي جو يقال ، وفى أي مكان، وأي زمان؟ وما الداعي لقوله، وغير ذلك من العناصر الكثيرة التي تؤثر تأثيرًا مباشرًا على كيفية قول الكلام ، وعلى تركيبه وعلى معانيه.

ومنها: أثر النص الكلامي في المشتركين، كالاقتناع، أو الألم، أو الإغراء أو الضحك..."[١]

يتضح مما سبق أن عناصر السياق (اللغوي (الداخلي)، والخارجي) لها الأثر الأكبر في تحديد المعنى المراد ، سواء أكانت هذه العناصر متمثلة في الوحدات اللغوية الموجودة داخل النص ، أم كانت كل ما يتصل بهذا النص من عناصر أو ظروف وملابسات، يتم تحليلها تحليلًا لغويًا يبدأ بالدلالة الصوتية ، ثم الصرفية ، والنحوية ، والاجتماعية، ومن خلال هذه الدلالات يتضح المعنى المراد .

(١) ينظر في ذلك أصول النظرية السياقية عند علماء العربية صـ٦.

ب ـ مفهوم المشترك اللفظي والتأصيل له :ـ

تعتبر إشارات(سيبويه) في كتابه في باب (اللفظ للمعاني) ، والتي قال فيها :" اعلم أن من كلامِهم....، واتفاق اللفظين والمعنى مختلف قولك: وجَدتُ عليه من المَوْجِدة، ووجَدت إذا أردت وجِدان الضّالة. وأشباه هذا كثيرٌ." [1]، بمثابة أولى المحاولات المكتوبة عن المشترك اللفظي التي وصلتنا من التراث والتي سبق إليها فضمها ، وحازها دون غيره ، وبهذا يكون أحرز من خلالها قصب السبق حول هذه القضية، وقد عقد (ابن فارس) بابًا في (أجناس الكلام في الاتفاق والافتراق) ، يقول فيه :" يكون ذلك على وجوه: فمنه ...، اتفاق اللفظ واختلاف المعنى، كقولنا عين الماء، وعين المال، وعين الركبة، وعين الميزان ..." [2] ، وهو بهذا يشير إلى طبيعة العلاقة الدلالية بين الكلمات والتي منها ما اصطلح العلماء على تسميته بـ (المشترك اللفظي) .

. المشترك في اللغة :.

عند الرجوع إلى كتب اللغة لتحرير معنى لفظة (مشترك) يتضح أنها صيغة (مفتعَل) من مادة (ش ر ك) التي تدل على :" مقارنة وخلاف انفراد، ومنه الشركة، وهو أن يكون الشيء بين اثنين لا ينفرد به أحدهما،

---

(١) الكتاب/ لسيبويه (١٨٠هـ)/تح.: عبد السلام محمد هارون/ مكتبة الخانجي، القاهرة/ط٣، ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م /(١/ ٢٤).

(٢) الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها / ابن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (٣٩٥هـ)/ الناشر: محمد علي بيضون/ ط١/ ١٤١٨هـ-١٩٩٧م / (ص: ١٥٢).

ويقال: شاركتُ فلانًا في الشيء، إذا صرتُ شريكه. وأشركتُ فلانا، إذا جعلتُه شريكا لك." [١] ، ورأيت فلانا مشتركًا إذا كان يُحَدِّثُ نفسَه(كالمهموم) أي أن رأيه مشترك ليس بواحد"[٢] ، "واسم مشترك: تشترك فيه معان كثيرة، كالعين ونحوها، فإنه يجمع معاني كثيرة " [٣] .

فمعنى اللفظة يدور حول المشاركة، وخلاف الانفراد ، سواء كانت هذه المشاركة مشاركة حسية كما في الأشياء التي تكون فيها الشراكة واضحة ، أم كانت مشاركة معنوية كما في مشاركة الأفكار ، والأحزان ، والأفراح، إلى غير ذلك من الأمور المعنوية .

. المشترك في الاصطلاح :.

أما عن معنى (المشترك) في الاصطلاح فإنه لا يختلف كثيرًا عن معناه في اللغة، ولكن العلماء وضعوا له تعريفًا اصطلاحيًا ؛ تمييزًا له من أن يلتبس بغيره من الألفاظ ذات المدلولات القريبة منه التي تدل على العلاقة بين الألفاظ ومعانيها كالألفاظ المترادفة، والألفاظ المتضادة .... ،"فقد حدَّه أهل الأصول بأنه:اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة..." [٤]

(١) مقاييس اللغة (٣/ ٢٦٥) (ش ر ك) .

(٢) تهذيب اللغة (١٠/ ١٣) (ش ر ك).

(٣) المحكم والمحيط الأعظم (٦/ ٦٨٤) (ش ر ك).

(٤)المزهر في علوم اللغة وأنواعها / للسيوطي (٩١١هـ)/ تح.: فؤاد علي منصور/ دار الكتب العلمية – بيروت/ ط١، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م/ (١/ ٢٩٢).

ومن أمثلته لفظة:(العين) فإن لها معاني كثيرة منها : الباصرة ، وعين الجيش الذي ينظر لهم ، وعين النفس ، وهو أن يعين الرجل بمعنى أن ينظر إليه فيصيبه بعين ، والجاسوس ، ومطر أيام لا يقلع ، وغير ذلك كن معانيها ، ومثلها لفظة (الخال) لأخي الأم ، وللشامة في الوجه ، وللبعير الضخم ، والسحاب"[١]

. آراء العلماء حول المشترك:.

والعلماء حول المشترك اللفظي فريقان :.

. الأول: رأي المؤيدين :.

يمثل هذا الفريق جمهور علماء اللغة الأقدمون[٢]،وفي هذا يقول (السيوطي): " فالأكثرون على أنه ممكن الوقوع"، ثم علل كثرة الوقوع بأن هذا يمكن أن "يقع من واضعين بأن يضع أحدهما لفظًا لمعنى ثم يضعه الآخر لمعنى آخر ويشتهر ذلك اللفظ بين الطائفتين في إفادته المعنيين وهذا على أن اللغاتِ غيرَ توقيفية..."[٣] .

. الثاني : رأي المنكرين :.

وهذا الفريق يمثله عدد قليل من علماء اللغة الأقدمين ، وأشهرهم (ابن درستويه)الذي يرفض أن يكون لفظ (وجد) من المشترك، ويعلل إنكاره هذا بقوله :" فاللغة موضوعة للإبانة عن المعاني فلو جاز وضع لفظ واحد

---

(١) ينظر / المزهر في علوم اللغة وأنواعها (١/ ٢٩٧).

(٢) منهم الخليل بن أحمد ، وسيبويه ، والأصمعي ، وأبو عبيدة ، وأبو زيد ، وابن فارس ، وابو علي الفارسي ، وابن حني / ينظر / علم الدلالة اللغوية صـ ٨٠.

(٣) المزهر في علوم اللغة وأنواعها (١/ ٢٩٢، ٢٩٣) .

للدلالة على معنيين مختلفين أو أحدهما ضد للآخر لما كان ذلك إبانة بل تعمية وتغطية"[١] ، وقد رُدَّ على هذا الرأي بأنه " معيب؛لأن الإبهام والتعمية يزولان بالقرائن الصارفة " [٢]

ويبدو أن الحكم على وجود هذه الظاهرة "اختلف باختلاف منهج كل فريق ، فمن نظر إلى الألفاظ ومعانيها باعتبار ما كان ، أو عالجها معالجة تاريخية فقد أنكر وقوع المشترك اللفظي ، ومن نظر إليها باعتبار ما هو كائن أو اتبع المنهج الوصفي فهو من المؤيدين لهذه الظاهرة ؛ لأن تتبع هذه الظاهرة من الناحية التاريخية أمر صعب غير مضمون النتائج ؛ لانقطاع الشقة بيننا وبين الناطقين الأوَل باللغة، ومن ثم فليس أمامنا إلا معالجة هذه الظاهرة باعتبار ما هو كائن ، وهو الاعتراف بوجود هذه الظاهرة ؛ وذلك لوجود أمثلتها في الواقع اللغوي الآن" [٣].

ومع هذا فلا ينبغي الإسراف، والمبالغة في تأييد هذه الظاهرة ، بل ينبغي الوقوف موقفًا وسطًا بين الفريقين؛ حيث إنه " لا يمكن إنكار الاشتراك لوقوعه في ألفاظ اللغة ، وعدم التمكن من تأويل كل ما ورد منها بأن أحد المعاني حقيقة ، والآخر مجاز ، أو غير ذلك من أسباب وقوع المشترك السابق ذكرها ، كما أنه من التعسف التوسع في إثباته بحيث يشمل العديد من ألفاظ اللغة ؛لأن بعض ما يتصور أنه من المشترك يمكن تأويله وإخراجه من هذا النطاق .

---

(١) المزهر في علوم اللغة وأنواعها (١/ ٢٩٢، ٢٩٣).

(٢) علم الدلالة اللغوية / صـ٧٩.

(٣) بحوث في علم الدلالة بين القدماء والمحدثين/ د. مجدي إبراهيم محمد/ الهيئة المصرية العامة للكتاب /٢٠١٣م / صـ٨٣ .

وعلى هذا فالرأي الأجدر بالقبول هو ما ذهب إليه أكثر المحدثين من اللغويين ، وهو التسليم بوجوده مع عدم التوسع والمبالغة ."[1]

ج ـ لفظة (آل) ، والتأصيل لها :ـ

أ:ـ التأصيل النحوي :ـ

أجمع النحاة على أن هذه اللفظة اسم جمع لا واحد له من لفظه، واختلفوا في ألفها، أمنقلبة عن هاء أم عن واو؟ "[2]، فهم في حقيقتها على مذهبين:ـ

ـ الأول مذهب سيبويه :ـ

يقول:"وأصل (آل):أهل: قلبت الهاء همزة، كما قلبت الهمزة هاء في (هراق)، الذي أصله (أراق)، ثم قلبت الهمزة ألفًا؛ لسكونها وانفتاح ما قبلها، كما في (آدم)، و(آمن).

ـ الثاني مذهب الكسائي:ـ

يقول :ـ " وأصله (أَوَل) كجَمَل من (آل يؤول) ، تحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلبت ألفًا. ..."[3].

---

(١) علم الدلالة اللغوية / صـ٨٠.

(٢) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك /جمال الدين، ابن هشام (٧٦١هـ)/تح. يوسف الشيخ محمد البقاعي/ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع (١/ ٢٩) .

(٣) شرح الأشموني على ألفية ابن مالك/ نور الدين الأُشْمُوني الشافعي (٩٠٠هـ)/ دار الكتب العلمية بيروت– لبنان/ط١/ ١٤١٩هـ= ١٩٩٨م/(١/ ١٨).

ويظهر أثر القولين في التصغير، "فمن قال أصله (أهل) قال في تصغيره: (أهيل)، ومن قال أصله (أَوَل)، قال في تصغيره: (أُوَيْل)، وكلاهما مسموع، ولكن الأول أشهر وأكثر..." [1] .

يتضح من هذا أن الأكثر والأشهر في لفظة (آل)أن أصلها (أهل)؛ لأن التصغير المشهور فيها (أُهيل) ، وهذا لا يمنع أن يكون أصلها (آل يؤول) بمعنى (رجع)؛ لأن الرجل يؤول إلى أهله، ولعل قلة استعمال مصغره (أُوَيل) ؛ للاكتفاء بـ(أهيل) عنه.

ب :.. التأصيل اللغوي :.

جاء في كليات (الكفوي) قوله :.

الآل:هو جمع في المعنى فرْدٌ في اللفظ، يطلق بالاشتراك اللفظي على ثلاثة معانٍ ***أحدها*** : الجند والأتباع نحو (آل فرعون)

والثاني: النفس نحو (آل موسى) و (آل هارون) و (آل نوح)

والثالث : أهل البيت خاصة نحو: (آل محمد)...، وأصل آل: أهل... أو من (آل يؤول) إذا رجع إليه بقرابة، أو رأيٍ، أو نحوهما..." [2] .

يتضح من ذلك أن (الكفوي) نص على أن هذه اللفظة (آل) من المشترك اللفظي ، وأن معناها يتردد بين ثلاثة معانٍ (الجند والأتباع ،

---

(١) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك (١/ ٢٩)، وينظر /شرح التصريح على التوضيح /خالد بن عبد الله الأزهري، زين الدين المصري،(٩٠٥هـ)
/ دار الكتب العلمية –بيروت–لبنان /ط١/ ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م/(١/ ٩).

(٢) الكليات (ص: ١٧١).

والنفس ، وأهل البيت خاصة) ، ثم تحدث عن أصلها اللغوي وأنه يتردد بين (أهل ، أول) كما قال بذلك النحويون .

ج :. ما تختص به (آل) :.

يقول (ابن مالك)

والآل كالأهل قليلا أفردا ... ولسِوَى الأعلام نزرا أسندا "[1]

أي أن (الآل) إذا كان بمعنى (الأهل) قل استعماله غير مضاف، وندرإسناده لغير الأعلام، وقد فصَّل(الراغب) ذلك فقال :. "وخصّ بالإضافة إلى الأعلام الناطقين دون النكرات، ودون الأزمنة والأمكنة، يقال: آل فلان، ولا يقال: آل رجل ولا آل زمان كذا، أو موضع كذا، ولا يقال: آل الخياط ؛ بل يضاف إلى الأشرف الأفضل، يقال: آل الله وآل السلطان ، والأهل يضاف إلى الكل، يقال: أهل الله وأهل الخياط، كما يقال: أهل زمن كذا، وبلد كذا." [2]، أي أنه خص استعماله بأولى الخطر والشأن كالملوك وأشباههم، فلا يقال آل الإسكاف والحجام[3]..." [4]، وفي ذلك يقول (ابن سيده) " وأنت

---

(١) شرح الكافية الشافية/ ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله (٦٧٢هـ)/ تح. عبد المنعم أحمد هريدي/ جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي كلية الشريعة والدراسات الإسلامية مكة المكرمة/ ط١. (٢/ ٩٥٣).

(٢) المفردات في غريب القرآن/الراغب الأصفهانى (٥٠٢هـ)/ تح. صفوان عدنان الداودي/ دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت/ ط١ – ١٤١٢ هـ. (ص: ٩٨).

(٣) الإسكاف كله الصانع، أيا كان، وخص بعضهم به النجار / ينظر / لسان العرب (٩/ ١٥٧) ، والحجام من يقوم بامتصاص فم المحجمة / بنظر تهذيب اللغة / أبو منصور الأزهري (٣٧٠هـ)/ تح: محمد عوض مرعب/ دار إحياء التراث العربي – بيروت / ط١، ٢٠٠١م / (٩٩/٤) (ح ج م).

(٤) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (١/ ١٣٧).

ممتنع من استعمال آل في غير الأشهر الأخص، وسواء في ذلك أضفته إلى مظهر أو أضفته إلى مضمر...."[1] ، أي أن لفظة (آل)اختصت بالأشرف الأخص دون الشائع الأعم ، فلا تضاف إلا إلى ذي شرف، بخلاف (أهل)، فلا يقال (آل الإسكاف) " ولا ينتقض بـ(آل فرعون) فإن له شرفًا باعتبار الدنيا..."[2] ، وهذا رأي وجيه.

د .: مواضع ذكر (آل) في القرآن الكريم :.

وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم (ستًا وعشرين) مرة ، (أربع عشرة) مرة مع فرعون (آل فرعون) ، و(أربع مرات) مع لوط (آل لوط)، ومرتين مع إبراهيم(آل إبراهيم) ، ومرتين مع يعقوب (آل يعقوب) ، ومرة واحدة مع كل من (موسى، وهارون، وعمران، وداوود) (آل موسى ، وآل هارون ، وآل عمران ، وآل داوود).

وفيما يلي عرض وتحليل لهذه المواضع، وبيان دور قرينة السياق في تحديد المعنى المراد من لفظة (آل)، وبيان هل ستقتصر هذه اللفظة على المعاني الثلاثة التي نص (الكفوي) عليها؟ أم أن هناك معانيَ أخر يحتملها اللفظ وقد عاون السياق في الكشف عن هذه المعاني .

(١) المحكم والمحيط الأعظم (٤/ ٣٥٧) (هـ ل أ) .
(٢) شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك (١/ ١٨).

ـ المبحـــث الأول :ـ

(أثر السياق في تحديد معنى لفظ (آل) مع فرعون)

▪ آل فرعون (أعوانه، وأتباعه ، وأشياعه، وظهيره، وعضده[1] :▪

عند النظر في قول الله تعالى﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾ [البقرة:٤٩] ، ومثيليه[2] ، يتضح أن سياق هذه الآيات الثلاث يمحض لفظة (آل فرعون) إلى الدلالة على (أعوان فرعون، وأشياعه، وظهيره، وعَضُدِه) الذين يتقوَّى بهم في عتوه وتجبره ، وتكبره، وبالنظر في الآيات التي ورد فيها لفظ (آل) يتضح انفراد اسم (فرعون) عن بقية الأسماء التي أضيف إليها لفظ (آل) أي أنه أكثر الأسماء إضافة إلى لفظ (الآل) ، فقد أضيف إليها (أربع عشرة) مرة من أصل (ست وعشرين) مرة ، وبهذا يكون(فرعون) استأثر وحده بلفظ (الآل) بنسبة (٥٣,٨)% من إجمالي مرات وروده ، وكأن آل فرعون (أعوانه، وأشياعه، وظهيره،

---

(١) وردت هذه الألفاظ في كتب اللغة كألفاظ مترادفة للدلالة على من يساند الرجل ويعاونه ، ويعاضده ، جاء في (تهذيب اللغة) (٣/ ١٢٨)(ع و ن) ، "وكل شيء أعانك فهو عون لك ، وتقول: أعنته إعانة" ، والأتباع: المتبعون الواحد ، فالقادة: السادة، والأتباع: المتبعون / ينظر/ المخصص (٤/ ٩٦)(الاتباع) ، "والمشيع هو الذي يساعد الآخر ويسانده. والشيعة: الأعوان والأنصار / ينظر/ مقاييس اللغة (٣/ ٢٣٥) (ش ي ع)،"والظهير: الأعوان ، يقال: ظاهر فلان فلانا، إذا مالأه وأعانه، والظهير: العون " / ينظر / تاج اللغة وصحاح العربية (٦/ ٢١٦٨)(ع و ن) ، والعضد: الأعوان، يقال: رجل له عضد، أي: له أعوان/ ينظر/ الزاهر في معاني كلمات الناس (٢/ ٣٢).

(٢) ورد هذا الامتنان من الله تعالى على بني إسرائيل مرتين الأولى في سورة [البقرة:٤٩] ، والثانية في سورة [الأعراف:١٤١] ، وورد مرة واحدة على لسان سيدنا موسى . عليه السلام . لقومه في سورة [إبراهيم:٦].

وعضده) كانوا السبب الرئيس في عتوه وتجبره ، فقد بلغ من عتوه وجبروته أن قال ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾[النازعات:٢٤]، وبهذا يمكن أن يقال عنه: إنه أصبح أمة في الضلال والاستعلاء، وكيانًا في الجبروت والطغيان، وقد ساعده في ذلك أعوانه وأشياعه، " ومَن كانوا على منهاجه وطريقته في الكفر بالله من قومه"[1] ، الذين قادوه ليكون صورة فريدة في التجبر ، فقد ﴿عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾﴾[القصص:٤] وهو بعلوه واستكباره جعل الناس شيعًا ، وجعل نفسه إلهًا وسيدًا ، والناس مألوهين وعبيدًا .

وحين دعاه موسى إلى عبادة رب العالمين ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾﴾[الشعراء:٢٣] ، ونادى في قومه ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾﴾[الزُّخرُف:٥١] ، وهو ما فعل ذلك، وما وصل إلى هذه الدرجة من العتو والتجبر إلا بمساندة ومساعدة أعوانه، وأنصاره ، وآله ، وقد حكى القرآن صورة من هذه المساندة في قول الله تعالى ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ۖ فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾﴾[القصص:٣٨] ، وعلى هذا يتضح دور السياق الخارجي المتمثل في (السياق الاجتماعي) الذي فرضه (فرعون) على الأرض التي يحكمها ، بأن قسَّمها إلى طبقات، وكل طبقة تحكم الأخرى، والجميع يحكمه (فرعون)، ومن ذلك ما أورده (الطبري) في تاريخه ؛ حيث أورد قول فرعون لقومه

(١) جامع البيان للطبري (١٣/ ٨٥).

الأقباط " انظروا مملوكيكم الذين يعملون خارجًا فأدخلوهم واجعلوا بني إسرائيل يلون تلك الأعمال القذرة فجعلوا بني إسرائيل في أعمال غلمانهم وأدخَلوا غلمانهم."[1] ، وهذا ما حكاه القرآن الكريم في قول الله تعالى ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝٤﴾[القصص:٤]،فالفئة المستضعفة هم بنو إسرائيل ، أما أعوانه وأتباعه فهم من أقباط مصر، والقرآن الكريم دائما يذكر آل فرعون المتمثل في(أعوانه، وجنوده، وملئه) على أنهم "الذين يوالونه في طغيانه، ويمالئونه في عدوانه، وينصرونه، والشعب(بنو إسرائيل) لا يذكر في مقام المناصرة لفرعون."[2]؛ ولذا أُسند في القرآن الكريم كلُّ فعلٍ شنيعٍ من فرعون إلى (آل فرعون)؛ لأنهم اليد التي تنفذ أوامره، ويقصد بهم أشياعه، وأعوانه، ومن هم على ملته ودينه، وعلى هذا فمعنى (الآل): "خاصة الرجل من جهة القرابة أو الصحبة ...، وقال بعضهم الآل عيدان الخيمة وأعمدتها وآل الرجل مشبهون بذلك لأنهم معتمدة"[3]، أي أن (آل الرجل) هم من يتقوى بهم، ويعتمد عليهم في أمور حياته ، وهذا الوصف ينطبق في الأعم على (آل فرعون) ، فجاء في القرآن الكريم قول الله تعالى ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ

(١) تاريخ الرسل والملوك / محمد بن جريرالطبري (٣١٠هـ)/ دار التراث – بيروت / ط٢ – ١٣٨٧ هـ . / (١/ ٣٨٨).

(٢) المعجزة الكبرى القرآن/ محمد بن أحمد بن مصطفى، المعروف بأبي زهرة (١٣٩٤هـ)/ دار الفكر العربي د . ت. (ص: ١٣٢).

(٣) معجم الفروق اللغوية/ أبو هلال العسكري (٣٩٥هـ)/ الناشر/ مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم»/ ط١، ١٤١٢هـ/ (ص: ٢٨١).

﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾ [البقرة:٤٩]، فهم وإن كانوا يفعلون هذه الأفعال بأمره وسلطانه إلا أنهم أُشركوا في العذاب ؛ لتوليهم ذلك بأنفسهم، " ويقتضي هذا أن من أمره ظالم بقتل أحد فقتله المأمور فهو المأخوذ به."(١) ؛ لذا حينما جاء الأخذ والإهلاك كان لآل فرعون، وهذا ما حكاه القرآن الكريم في قول الله تعالى ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾[غافر:٤٦] ، فقد "علم من عذاب آل فرعون أن فرعون داخلٌ في ذلك العذاب بدلالة الفحوى"(٢)؛ لأن "الآل يطلق على ذات الشيء... وقيل لا يقال ذلك إلا في حق الرجل الجليل القدر"(٣) ،العظيم الشرف وفرعون له شرفٌ باعتبار الدنيا، فآل فرعون الذين كانوا يسومون المستضعفين سوء العذاب في الدنيا هم الذين سيدخلون يوم تقوم الساعة أشد العذاب، وفرعون يقْدُمهم يوم القيامة إلى النار، وإن لم يُصرَح باسمه في الآية، وهكذا حال الأسلوب القرآني حينما يذكر قصة فرعون ، وآله تراه تارة يتحدث عن (آل فرعون) فقط دون التصريح باسم (فرعون) ، وأحيانًا أخرى يتحدث عن (فرعون) فقط مع الإشارة إلى آله ، ومن ذلك قول الله تعالى ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز/ ابن عطية الأندلسي(٥٤٢هـ)/ تح. عبد السلام عبد الشافي محمد/ الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت/ ط١ – ١٤٢٢ هـ. (١/ ١٤٠).

(٢) التحرير والتنوير/الطاهر بن عاشور التونسي (١٣٩٣هـ)/ الدار التونسية للنشر – تونس/ ١٩٨٤ هـ./ (٢٤/ ١٥٩).

(٣) جامع البيان للطبري (٣/ ٢٢٢).

﴿وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾﴾[يونس:٨٣] ، فقد ورد لفظ (آل) مقدرًا مع فرعون ؛ حيث قال (على خوف من فرعون وملئهم) ، وإنما قال (وملئهم) وفرعون واحد ؛ لأنه يجوز " أن تريد بفرعونَ آل فرعون وتحذف الآل، كما قال الله تعالى ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا﴾ [يوسف:٨٢]، تريد أهل القرية... ، وكذلك قوله تعالى ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الدخان:٢٩]، قيل المعنى : فما بكى عليهم أهل السماء والأرض"[1]، ويجوز أن يكون جمع الضمير في ملئهم ؛ " لأنه إخبار عن جبّار، والجبَّار يُخْبَر عنه بلفظِ الجمع، وقيل : لَمَّا ذُكِرَ فرعونُ عُلِمَ أنَّ معه غيرَه، فَرَجَع الضميرُ عليه وعلى مَنْ معه؛ لأن فرعونَ صار اسمًا لأتباعه، كما أن ثمودَ اسمٌ للقبيلة كلها..."[2] ، فكما ورد سابقًا لفظ (آل فرعون) فقط دون فرعون ، وعُلم من ذلك دخول فرعون في الحكم بدلالة الفحوى والتضمين ، كذلك الحال هنا ؛ حيث عُلم من السياق دخول آل فرعون مع فرعون في الحكم ، فكأن بين اللفظتين تلازم،فحيث ذُكِر (فرعونُ) تبادر إلى الذهن (آله)، وحيث ذُكِر (آل فرعون) تبادر إلى الذهن (فرعون) نفسه ، يؤيد هذا قول الله تعالى﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾[البقرة:٥٠] ، فحذف ذكر فرعون وإن كان قد غرق معهم ؛ لأنه قد علم دخوله فيهم، "

---

(١) معاني القرآن/الفراء (٢٠٧هـ)/ تح. أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي/ دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر/ ط١ / (١/ ٤٧٧). ، وينظر / جامع البيان (١٦٧/١٥).

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون/ السمين الحلبي (٧٥٦هـ)/تح. الدكتور أحمد محمد الخراط/ دار القلم، دمشق. / (٦/ ٢٥٥) بتصرف يسير.

وإنما اقتصر على ذكرهم للعلم بأنه أولى به منهم..." [1]، كما تحكي آية إغراقه في قول الله تعالى﴿ ۞وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا وَعَدۡوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٩٠﴾[يونس:٩٠].فهذه الآية صرحت بإغراق فرعون، وأنه داخل مع قومه في الحكم السابق، فجميع هذه الآيات تتحدث عن (فرعون)، وعن (آل فرعون) وكأنهما انسجما وامتزجا معًا حتى صارا وحدة طاغية مستبدة ؛ لذا جاء الخطاب عنهم وكأنه خطاب إلى وحدة واحدة لا انفصام فيها .

وهذا الأسلوب ورد على لسان النبي ﷺ فقد روي عن (عبد الله بن أبي أوفي[2]) قَالَ: ***كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَتَاهُ قَوْمٌ بِصَدَقَتِهِمْ، قَالَ: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ فُلَانٍ»، فَأَتَاهُ أَبِي بِصَدَقَتِهِ، فَقَالَ:«اللَّهُمَّ صَلِّ***

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم/ أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (٩٨٢هـ)/ دار إحياء التراث العربي – بيروت. (١/ ١٠١).

(٢) عبد الله بن أبي أوفى الأسلمي من أصحاب الشجرة، غزا مع النبي صلى الله عليه وسلم ست غزوات، وأصابته يوم حنين ضربة في ذراعه، يكنى: أبا معاوية، كان يصبغ لحيته ورأسه بالحناء، وله ضفيرتان، كف بصره في آخر عمره، توفي سنة ست وثمانين، وقيل: سبع وثمانين بالكوفة، آخر من مات بها من الصحابة/ ينظر في ترجمته / معرفة الصحابة/ أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (٤٣٠هـ)/تح: عادل بن يوسف العزازي/ دار الوطن للنشر، الرياض/ط١/ ١٤١٩ هـ = ١٩٩٨ م. / (٣/ ١٥٩٢).

عَلَى آلِ أَبِي أَوْفَى»[1]، أي : صلِّ على أبي أوفى وآله، فإنه قد علم دخول أبي أوفى في آله، فحسن ذكرهم دونه .

(وآل فرعون) " قومه وأتباعه وأهل دينه، وكذلك آل الرسول ﷺ من هو على دينه وملته في عصره وسائر الأعصار[2] سواء كان نسيبًا له أو لم يكن. ومن لم يكن على دينه وملته فليس من آله ولا أهله وإن كان نسيبه وقريبه"[3]، ألا ترى أن (آسية ابنة مزاحم) لم تُعَدّ من (آل فرعون) مع أنها زوجُه؛ لأنها ليست على ملته ودينه ؛ بل إنها عُدت من أكمل النساء، كما روي عن النبي ﷺ: ***«كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَفَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ»***[4] ؛لذلك لم يشملها قول الله تعالى ﴿***النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ***

---

(١) صحيح البخاري/ محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري/ تح: محمد زهير بن ناصر الناصر/ دار طوق النجاة / ط١، ١٤٢٢هـ. (٢/ ١٢٩) / كتاب الزكاة /باب صلاة الإمام ودعائه لصاحب الصدقة / حديث رقم (١٤٩٧) .

(٢) المدد الطويلة أو القرون أو عمر الإمبراطوريات / ينظر / تكملة المعاجم العربية / رينهارت بيتر آن دُوزِي (١٣٠٠هـ)/ نقله إلى العربية وعلق عليه:/ جـ ١ – ٨: محمَّد سَليم النعَيمي/ جـ ٩، ١٠: جمال الخياط/ الناشر: وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية/ ط١، من ١٩٧٩ = ٢٠٠٠ م / (١١/ ٩٠).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)/ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (٦٧١هـ)/ تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش/ الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة/ ط٢، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م/ (١/ ٣٨١).

(٤) صحيح البخاري (٥/ ٢٩) / كتاب أصحاب النبي . صلى الله عليه وسلم . / باب فضل عائشة / حديث رقم (٣٧٦٩) .

﴿ٱلْعَذَابِ ۝﴾[غافر:٤٦] ، أي (آل دينه)؛ ولأجل هذا يقال : إن أبا لهب ، وأبا جهل ليسا من آله ﷺ ، ولا من أهله ﷺ ، وإن كانا بينهما وبين النبي ﷺ قرابة ، واختلفوا في آل النبي ﷺ، قيل: هم الذين حرم عليهم الصدقة، وعوضوا منها خمس الغنيمة والفيء، وهم بنو الهاشم، وبنو المطلب، وهم (آل علي، وآل جعفر، وآل عباس ، وآل عقيل)، قال النبي ﷺ في الصدقة: «**إنها لا تحل لمحمد، ولا لآل محمد**[1]» ، وقيل: آله: كل مؤمن تقي ...."[2] ، ويمكن الجمع بين هذه الأقوال بأن آل الرجل: أهله، إذا كان من أوساط الناس، فأما الرئيس والعظيم، فآله: أشياعه وأتباعه، فآل (محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن مناف) هم أصلابه من بني الهاشم، وبني المطلب الذين حرم عليهم الصدقة، وعوضوا منها خمس الغنيمة والفيء، أما (آل النبي ﷺ) فهم أتباعه وكل أمته ؛ لذا قال ﷺ «**إنها لا تحل لمحمد، ولا لآل محمد** » ولم يقل (إنها لا تحل للنبي ولا لآل النبي)، كذلك (آل فرعون) هم أشياعه وأتباعه، وأعوانه، ومن هم على ملته ودينه ، كما قال الله تعالى في ابن نوح . عليه السلام . ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾[هود:٤٦]، فقد نفى الله تعالى الأهلية المتبادلة بين نوح . عليه السلام . وابنه

---

(١) أحاديث إسماعيل بن جعفر / إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير الأنصاري (١٨٠هـ)/ دراسة وتحقيق: عمر بن رفود بن رفيد السّفياني/ مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض – شركة الرياض للنشر والتوزيع/ ط١: ١٤١٨ هـ = ١٩٩٨م / (ص: ٣٧٠).

(٢) شرح السنة/ أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (٥١٦هـ)/ تح: شعيب الأرنؤوط–محمد زهير الشاويش/ المكتب الإسلامي – دمشق، بيروت/ ط٢، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م . (٣/ ١٩٣) ، وينظر / الكليات (ص: ١٧١) .

الصلبي؛ لأنه ليس على ملته ودينه ، ومن ذلك (حديث الكساء)الذي روته (أم سلمة) . رضي الله عنها . أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ لِفَاطِمَةَ رضي الله عنها : ***«ائْتِينِي بِزَوْجِكِ وَابْنَيْكِ» ، فَجَاءَتْ بِهِمْ، فَأَلْقَى عَلَيْهِمْ كِسَاءً فَدَكِيًّا*** (١) ***، قَالَتْ: ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنَّ هَؤُلَاءِ آلُ مُحَمَّدٍ، فَاجْعَلْ صَلَوَاتِكَ وَبَرَكَاتِكَ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ» ، قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: فَرَفَعْتُ الْكِسَاءَ لِأَدْخُلَ مَعَهُمْ، فَجَذَبَهُ مِنْ يَدِي وَقَالَ: «إِنَّكِ عَلَى خَيْرٍ»***(٢) .

فكل هذا يدل على أن الآل هنا هم الأتباع ومن هم على الملة ، ومنه قول (أراكة الثقفي(٣)) (من الطويل) :.

---

(١) نسبة إلى موضع بناحية الحجاز ، ويمكن أن يكون المعنى ثوبا منفوشًا ، بقال : فدكت القطن تفديكا إذا نفشته /ينظر / تهذيب اللغة (١٠/ ٧٣) ف د ك .

(٢) قال الحاكم: هذا حديثٌ صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه./ ينظر / مسند الإمام أحمد بن حنبل/ (٢٤١هـ)/ تح. شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون/ إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي/الناشر: مؤسسة الرسالة/ ط١، ١٤٢١ هـ = ٢٠٠١ م./ (٤٤/ ١٢٢) ، فضائل الصحابة/ أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل (٢٤١هـ)/ تح.: د. وصي الله محمد عباس/ الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت/ ط١، ١٤٠٣ = ١٩٨٣.(٢/ ٦٠٢) / باب فضائل علي . رضي الله عنه / حديث رقم (١٠٢٩).

(٣) عَمْرو بْن أراكة وقيل: ابْنُ أَبِي أراكة، سكن البصرة.ذكره الْبُخَارِيّ في الصحابة ، فقال : عَمْرو بْن أراكة، سكن البصرة، وروى عَنِ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، الْحَسَن الْبَصْرِيّ، أن عَمْرو بْن أراكة كَانَ جالسًا مَعَ زياد عَلَى سريره، فأتي بشاهد، أراه مال فِي شهادته، فَقَالَ لَهُ زياد، والله لأقطعن لسانك، فَقَالَ عَمْرو: سَمِعْتُ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " ينهي عَنِ المثلة، ويأمر بالصدقة "./ ينظر / أسد الغابة في معرفة ==

فلا تبك ميْتًا بعد ميْتٍ أجَنَّهُ ... عليّ وعباس وآل أبي بكر[1]

يعني المؤمنين الذين قبروا رسول الله ﷺ[2]، وكانوا من بعده في طاعة أبي بكر الصديق رضي الله عنه. ومِن أتباعه .

يتضح مما سبق أن التعبير بلفظة (آل) التي هي للقرابة والصحبة في هذا الموضع للدلالة على (الأتباع ، والأعوان ، والشيعة، و كل من كان مساندًا ظهيرًا)، سواء أكان قريبًا أم لم يكن، أما من لم يكن من الأتباع أو الأعوان، فليس من الآل وإن كان من الأقارب، وعليه فإن المقصود من (آل فرعون) في هذا الموضع كل أتباع فرعون وكل من هو على دينه وملته .

==

الصحابة/عز الدين ابن الأثير (٦٣٠هـ)/تح. علي محمد معوض – عادل أحمد عبد الموجود/ دار الكتب العلمية/ط١/ ١٤١٥هـ – ١٩٩٤ م/ (٤/ ١٧٨) .

(١) البيت في التعازي والمراثي والمواعظ والوصايا/ أبو العباس، المعروف بالمبرد (٢٨٥هـ)/ تح: إبراهيم محمد حسن الجمل/ نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع/ (ص: ٢٣٩) ، العقد الفريد/ ابن عبد ربه الأندلسي (٣٢٨هـ)/ دار الكتب العلمية – بيروت/ ط١، ١٤٠٤ هـ.(٣/ ٢٥٨)، الأمالي/ عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي، أبو القاسم (٣٣٧هـ)/ تح: عبد السلام هارون/ دار الجيل – بيروت/ ط٢، ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧ م / (ص: ٩) .

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/ ١٤٠).

ـ آل فرعون (أهل طاعته):ـ

إذا كان الحديث السابق يبين أن المراد من (آل فرعون) أعوانه ، وأشياعه ، وأتباعه ، ومن هم على ملته ونهجه قلبًا وقالبًا ، باطنًا وظاهرًا ، فإن هناك آية جاء فيها لفظ (آل فرعون) ، واتسعت دائرة المعنى فيه لتشمل كل من كان لفرعون عليه حق الطاعة والولاء . سواء أكانت هذه الطاعة عن طيب خاطر أم كانت عن قسر وإرغام ، يحكي هذا قول الله تعالى ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾﴾[الأعراف:١٣٠]، فآل فرعون في هذه الآية كل من أيَّد فرعون، ولو كان التأييد بالصمت القسري على أفعاله من غير إنكار لها، يؤيد هذا المعنى أن العقاب في هذه الآية بلاء ، والبلاء إذا جاء فإنه يعم ، ويطم، وبهذا القول قال (مقاتل) ؛ حيث قال في معنى الآية :" يعني أَهل مصر بِالسِّنِينَ يعني قحط المطر، وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ فأصابهم الجوع ..." [٢] ، وقد فصل (الزمخشري) هذا الأخذ بقوله :" وقال ابن عباس رضي الله عنه: أما السنون فكانت لباديتهم وأهل مواشيهم، وأما نقص الثمرات فكان في أمصارهم..." [٣] ، وعلى كلٍ فإن هذا الأخذ لم يقتصر على فرعون وقومه فقط ؛ بل إنه امتد ، واشتد ليشمل كل

---

(١) اختلف المفسرون في تحديد المراد من (آل فرعون) في هذه الآية إلى : قولين : الأول : قوم فرعون وأهل دينه ، الثاني : أهل مصر جميعًا ، ينظر في ذلك / روح البيان (٣/ ٢١٧) ، التفسير القرآني للقرآن (٨/ ٥٦٠) ، زهرة التفاسير (٦/ ٢٩٣٣) ، التفسير الوسيط لطنطاوي (٥/ ٣٥٧).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان(١٥٠هـ)/ تح. عبد الله محمود شحاته/ دار إحياء التراث – بيروت/ ط١ – ١٤٢٣ هـ(٢/ ٥٦).

(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ١٤٤).

شيء، ويعم الجميع ، فالسياق اللغوي في هذه الآية المتمثل في طبيعة هذا العقاب الذي أخذ الله به (آل فرعون) يرجح كون المراد من (آل فرعون) أهل مصر في عهده، وهم مؤاخذون بظلمه وطغيانه؛ لأن قوته المالية والجندية منهم، وقد خلقهم الله أحرارًا وكرمهم بالعقل والفطرة التي تكره الظلم والطغيان بالغريزة، فكان حقا عليهم ألا يقبلوا استعباده لهم، وجعلهم آلة لطغيانه وإرضاء كبريائه وشهواته، ولا سيما بعد بعثة موسى ووصول دعوته إليهم ورؤيتهم، لما أيده الله به من الآيات...."[1] ، ومع ذلك أصروا تعنتا على ألا يؤمنوا بموسى وإلهه، مع ما جاء به موسى من آيات كما حكاه قول الله تعالى ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾﴾[الإسراء:١٠١] ، وكذلك قوله تعالى﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾﴾[الزُّخرُف:٤٨] ، فكم من الآيات أرسلها الله عليهم ومع ذلك لم يؤمنوا فاستحقوا هذا البلاء المتمثل في الجدب والقحط ونقص الثمرات، وكأن الله تعالى لما أصروا على الكفر والعناد أخذ منهم مصدر غناهم وثراءهم الذي تغنى به (فرعون) وتفاخر به آنفًا ، يحكي هذا قول الله تعالى ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾﴾[الزُّخرُف:٥١]، فهذه الأنهار التي تجري من تحته (نهر النيل) هي مصدر غناهم وثرائهم في الزرع، والضرع، فلما جاءهم البلاء جف هذا النبع، فالله تعالى اختبرهم بآيات زراعية تتعلق بالزرع والضرع، يؤيد ذلك ما روي عن ابن عباس . رضي الله عنه. قال: يبس لهم كل

(١) تفسير المنار (٩/ ٧٦).

شيء، وذهبت مواشيهم، حتى يبس نيل مصر..." [1] ، فعاقبهم الله أولا بالسنين (الجدب والقحط) ، ثم نقص الثمرات حيث حبست عنهم الأمطار، وقَلَّتْ مياه نهر النيل، وجفَّت مزروعاتهم، وتلفت أشجارهم وثمارهم ، ويمكن أن يعضد هذا السياق اللغوي للآية المتمثل في نوع العقاب الذي أخذ الله به (آل فرعون) وهو البلاء الذي يعم ويطم ذلك السياق الخارجي المتمثل في (سياق الحال) الذي يحكي مواضع مجيء الفعل (أخذ) الذي يدل على: حوز الشيء وتحصيله بالقهر"[2]، فإيثار هذا الفعل دون غيره، إتباعًا لهذا المنهج الرباني في إهلاك القرى عامة فإن التعبير يكون بالفعل (أخذ) يحكي هذا قول الله تعالى﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ ١٠٢﴾[هود:١٠٢] وقوله تعالى ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ أَمۡلَيۡتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذۡتُهَا وَإِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ٤٨﴾[الحج:٤٨] ،وكأن هذا التلازم بين الفعل (أخذ) وبين إهلاك القرى يعضد كون المراد من (آل فرعون) في الآية هم أهل مصر ، فظاهر الآية أنهم الآن في حالة (إملاء وإمهال) ، وفي هذا يقول (الرازي):. و" ظاهر الآية أنه تعالى إنما أنزل عليهم هذه المضار والشدائد ؛لأجل أن يرجعوا عن التمرد والعناد إلى الانقياد والعبودية ؛ وذلك لأن أحوال الشدة ترقق القلب وترغب فيما عند الله ..." [3]، فهم في حالة إمهال وإملاء من الله

(١) زاد المسير في علم التفسير/ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (٥٩٧هـ)/ تح. عبد الرزاق المهدي/ دار الكتاب العربي – بيروت/ ط١- ١٤٢٢ هـ. (٢/ ١٤٧).

(٢) المفردات في غريب القرآن (ص: ٦٧).

(٣) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)/ فخر الدين الرازي (٦٠٦هـ)/ دار إحياء التراث العربي – بيروت/ ط٣ – ١٤٢٠ هـ /(١٤/ ٣٤٤).

تعالى، ومع أن هذا الاختبار (السنين ونقص من الثمرات) "قارَنَ حياتهم، ومسَّ معيشتهم، حتى لم يكن لطالب حق أن يرتاب، ولا لطالب الهداية أن يمتري"(١) إلا أنهم أصروا على عنادهم وكبرهم ؛لذا خُصِّص لفظ (أخذنا) الذي منه (المؤاخذة) للتنبيه "على معنى المجازاة والمقابلة لما أخذوه من النعم فلم يقابلوه بالشكر"(٢) ، وكأنهم لما لم يقابلوا النعم بالشكر أخذهم الله تعالى وعاملهم باللوم، والتأنيب، "فأخذ الله آل فرعون معاملا بالسنين بجدبة تصيبهم، ونقص الثمرات، يختبرهم سبحانه بذلك لعلهم يذكرون أن هناك مدبرًا غير فرعون، وأن الأمر ليس بإرادتهم ولا بإرادة فرعون، إنما هو بإرادة من خلق فرعون، وخلق الزرع والثمار، ولكنهم لم يتذكروا لفنائهم في فرعون وملئه، وكذلك أهل فرعون دائما، لَا ينفصلون في نفوسهم عن حكامهم "(٣)، ومع ذلك أمهلهم الله تعالى وترَك الانتقام مع قدرته عليه، لمصلحة تقتضي ذلك عاجلا أو آجلا، فلما أصروا على حالهم بعد تحقق كل الآيات كان الأخذ الشديد (للفرعون الأكبر) الذي يحكيه قول الله تعالى ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ ۝٢٥ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰٓ ۝٢٦﴾[النازعات:٢٥ : ٢٦] فجاء التعبير بنفس الفعل (أخذ) ولكن مع الفارق.

يتضح مما سبق دور السياق اللغوي المتمثل في تحديد طبيعة عقاب الله تعالى لـ(آل فرعون) الذي هو بلاء ، والبلاء إذا جاء يعم ويطم ، إضافة إلى سياق الحال المتمثل في هذا التلازم بين الفعل(أخذ) وبين (إهلاك القرى)

---

(١) المعجزة الكبرى القرآن (ص: ٢٩٠) بتصرف يسير.

(٢) المفردات في غريب القرآن (ص: ٦٧).

(٣) زهرة التفاسير/ محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (١٣٩٤هـ)/ دار النشر: دار الفكر العربي/ (٦/ ٢٩٣٣).

كما حكاه القرآن الكريم في أكثر من موضع ، كل هذا يدل على أن (آل فرعون) في الآية :" آل مصر الذين هم آل فرعون، ومن يقوم بهم وبالحكم فيهم"[1] سواء ارتضوا حكمه وسياساته أم لا .

▪ آل فرعون (أقرباؤه المقربون):▪

كما أنه يمكن أن تأتي لفظة (آل) لمعنى (أقارب الرجل المقربين) ، كما في قول الله تعالى ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ [2] ﴾[غافر:٢٨]، قال (الزمخشري) :" كان قبطيا ابن عم لفرعون: آمن بموسى سرا"[3]، وقيل :" كان جاريًا مجرى ولي العهد ومجرى صاحب الشرطة" [4]؛ ولهذا قال (من آل فرعون)، (وسياق الموقف) يؤيد أنه من (أقارب فرعون المقربين) ؛ حيث إن فرعون استمع إلى كلامه ، وكف عن قتل موسى . عليه السلام ؛ بل إنه لم يقتل هذا الرجل الذي أشهر إسلامه، واكتفى بأن قال بعد قول هذا الرجل ﴿ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾﴾ [غافر:٢٩] ، وفي ذلك يقول (الطبري) :"ولكنه لما كان

---

(١) زهرة التفاسير (٦/ ٢٩٣٣).

(٢) اختلف المفسرون في تحديد ماهية هذا الرجل إلى أقوال :فمنهم من قال إنه قبطي مثل فرعون ، وقيل : كان من قوم فرعون، غير أنه كان قد آمن بموسى، وكان يُسِرّ إيمانه من فرعون وقومه خوفا على نفسه ، وقيل : ابن عم فرعون ، وقيل : كان الرجل إسرائيليا، ولكنه كان يكتم إيمانه من آل فرعون / ينظر في ذلك / تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٧١١)، جامع البيان (٢١/ ٣٧٥ ، ٣٧٦).

(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ١٦٢).

(٤) مفاتيح الغيب للرازي (٢٧/ ٥٠٩).

من ملأ قومه، استمع قوله، وكفّ عما كان همّ به في موسى." [1] ، ثم حكى القرآن أن ذلك المؤمن رد هذا الكلام على فرعون فقال:﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾﴾[غافر:٣٨] "وفيه تصريح بأن ما عليه فرعون وقومه هو سبيل الغي..." [2] ، فسياق الموقف هذا يبين أن المراد من مؤمن آل فرعون هذا إنما هو واحد من أقارب فرعون المقربين الذين لهم صلة وثيقة تربطهم بفرعون ، كما أن السياق اللغوي في هذه الآية والمتمثل فيما جاء بعد هذه الآية من قول هذا الرجل ﴿يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَاۚ﴾ [غافر:٢٩] ، فهذا دليل على أنه قبطي؛ ولذلك "أضافهم إلى نفسه فقال (يا قوم) ليكونوا أقرب إلى قبول وعظه "[3]، وروي عن (ابن عباس). رضي الله عنهما **قَالَ: لَمْ يَكُنْ فِي آلِ فِرْعَونَ مُؤْمِنٌ غَيْرُهُ وَغَيْرَ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ وَغَيْرَ الْمُؤْمِنِ الَّذِي أَنْذَرَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ الَّذِي قَالَ: «إِنَّ الْمَلا يَأْتَمِرُونَ بِكَ لَيَقْتُلُوكَ** [القصص:٢٠]»" [4]، وروي عن النبي . صلى الله عليه وسلم أنه قال : **«الصِّدِّيقُونَ ثَلاَثَةٌ: حَبِيبٌ النَّجَّارُ مُؤْمِنُ آلِ يَاسِينَ الَّذِي قَالَ: {يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ}** [يس: ٢٠] ، **وَحِزْقِيلُ مُؤْمِنُ آلِ فِرْعَوْنَ الَّذِي قَالَ: {أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ}** [غافر: ٢٨] ، **وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ الثَّالِثُ، وَهُوَ أَفْضَلُهُمْ »** [5] ، كل هذا دلالة على أن لفظة (آل فرعون) في هذه الآية

---

(١) جامع البيان للطبري (٢١/ ٣٧٦).

(٢) مفاتيح الغيب للرازي (٢٧/ ٥١١ ، ٥١٨).

(٣) تفسير القرطبي (١٥/ ٣١٠).

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣٢٧هـ)/تح: أسعد محمد الطيب/ مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية/ط٣ – ١٤١٩ هـ/(١٠/ ٣٢٦٦).

(٥) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل (٢/ ٦٥٥).

يراد منها (الأقرباء المقربون) الذين هم بمنزلة العائلة ، وهذا المعنى (عائلة الرجل ، وبنو أبيه الأقربون) يتفق وقول النابغة (من البسيط) :.

وقفت فيها سراة اليوم أسألها ..... عن آل نعم أمونًا عبر أسفار (١)

فالشاعر وقف في دار محبوبته يسألها عن (آل نعم) ، وطبَعيٌّ أن من يسكن الدار العشيرة، والعائلة، وأبناء الأب .

▪ آل فرعون (الجواري والجنود):▪

ويمكن أن يكون المراد من الآل (خاصة الرجل من جهة الصحبة) ، أي من هم في موضع الصحبة والملازمة له ، وإن لم يكن بينهم صلة قرابة، كما في قول الله تعالى ﴿***فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرۡعَوۡنَ لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّٗا وَحَزَنًاۗ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خَٰطِـِٔينَ ٨***﴾ (٢)[القصص:٨] ، فآل فرعون هنا هم من يقومون بملازمته ومصاحبته ليلًا ونهارًا ، كالجواري والعبيد ، وجنود فرعون وأعوانه (٣) ، والذي جعل اللفظة تتمحض لهذا المعنى ذلك السياق

---

(١) البيت في ديوانه صـ ٤٧ ، وهو من معلقته التي مطلعها :.

عوجوا فحيوا لنعم دمنة الدار ... ماذا تحيون من نؤى وأحجار.

(٢) اختلف المفسرون في تحديد المراد من (آل فرعون) في هذه الآية إلى : جواري امرأة فرعون ، وقال آخرون: بل عني به ابنة فرعون ، وقيل : عنى به أعوان فرعون ، وقيل : أهله وجملته. / ينظر في ذلك / جامع البيان (١٩/ ٥٢٢ ، ٥٢٣) ، وينظر / المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٢٧٧).

(٣) ينظر في ذلك / جامع البيان للطبري (١٩/ ٥٢٢ ،٥٢٣) .

اللغوي المفاد من صيغة (افتعل) (التقط) التي تأتي بمعنى (التصرف) أي: الاجتهاد والاضطراب في تحصيل أصل الفعل ...." [1]

فمعنى (التقط) ، أي : اجتهدَ وبالغَ في تحصيل الالتقاط ، وهذا الاجتهاد والمبالغة لا يكونان إلا من فئة مستضعفة ترى في إحضار هذا الملتقط الحُظوة ، والمكانة ، والمنزلة عند الملك ، كما ساعد السياق الاجتماعي في دلالة هذه اللفظة (الآل) على معنى (الجواري والعبيد) أو (الخدم والحشم) وهو أن الحدث نفسه (الالتقاط) لا يتأتى . غالبًا . إلا من مثل هذه الفئة من الناس ، فالأشراف والوجهاء لا يلتقطون الأشياء ، جاء في (العين) " واللَّقيطة: الرجل المهين الرَّذل، والمرأة كذلك ..." [2]

يتضح مما سبق أن معنى (آل فرعون) في هذه الآية هم الجواري والجنود وقد ساعد السياق اللغوي المتمثل في صيغة (افتعل)، إضافة إلى السياق الاجتماعي المتمثل في ارتباط حدث (الالتقاط)بهذه الفئة من الناس، وقد جاء في كتب التاريخ ما يؤيد هذا[3] .

بعد هذا العرض السابق يتضح أن لفظة (آل). مقترنة بفرعون . تنوعت دلالتها بين (الأعوان والأتباع ، وكل من لفرعون عليه حق الطاعة ، وأقاربه

---

(١) شرح شافية ابن الحاجب – الرضي الأستراباذي (١/ ١١٠).

(٢)كتاب العين/ أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو الفراهيدي (١٧٠هـ)/تح: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي/ دار ومكتبة الهلال(٥/ ١٠١).

(٣) ينظر في ذلك / تاريخ دمشق/ أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (٥٧١هـ)/تح. عمرو بن غرامة العمروي/دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع/ ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م.(٦١/ ٢٢) ، وينظر /الدر المنثور في طبقات ربات الخدور/ زينب بنت علي بن حسين بن عبيد الله بن حسن بن إبراهيم بن محمد بن يوسف فواز العاملي (١٣٣٢هـ)/ المطبعة الكبرى الأميرية، مصر/ط١، ١٣١٢ هـ.(ص: ٤٠).

المقربون ، والجواري والجنود) ، فهذه اللفظة من الألفاظ المشتركة التي لها معنى جامع وهو (الأهل) ثم يصنف هؤلاء الأهل إلى المعاني الفرعية السابقة بحسب سياق الآية ، كما يتضح أن معاني هذه اللفظة الجامعة بقيت الوُصلة بينها .

ولعل السبب الرئيس في تنوع معاني هذه اللفظة أن (فرعون) كان من سياسته التفريق بين الناس فقد ﴿جَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ﴾[القصص:٤] ، أي فرقًا يستضعف طائفة منهم ، يذبح الأبناء، ويستحيي النساء ، ويجعل مجموعة للخدمة ، ومجموعة للرفعة ، ومجموعة مقربة له ، ففرق بين الناس على تمييز عنصري كان يتخذه ، وجعل بني إسرائيل في أدنى المنازل ، وسامهم سوء العذاب ، " وكان هذا الفعل من فرعون بأن جعل القبط ملوكا مستخدَمين، وجعل بني إسرائيل عبيدًا مستخدَمين، وهم كانوا الطائفة المستضعفة" [1] ، فالجميع مستخدَم عنده ، ولكن كل طائفة مستخدَمة للطائفة التي فوقها ، ثم إن الجميع مستعبد للطاغية الأعظم (فرعون) الذي قال ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾[النازعات:٢٤] ،وكأن هذا التفرق والانقسام إلى شيع أفرز هذه الطبقات التي نسبت كلها إلى (فرعون) ، فالجميع (آل فرعون) سواء أكانوا (أعوانه وأتباعه ، أم كانوا أهل طاعته ، أم كانوا أقرباءه المقربين، أم كانوا خدمه وجواريه) ، ولا أنسب من هذه اللفظة (الآل) التي تدل على (القرابة والاختصاص) من التعبير عن كل هذه الطوائف والطبقات، والله تعالى أعلى وأعلم .

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٢٧٦).

ـ المبحـــث الثاني :ـ

(أثر السياق في تحديد معنى لفظة (آل) مع بقية الرسل)

ـ آل بمعنى (أهل البيت):ـ

قال الله تعالى ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾(١) ﴾ [النمل:٥٤:٥٧] .

بالنظر في هذه الآيات التي تحكي قصة (لوط) . عليه السلام. يتضح أن هذه الآيات جاء فيها ثلاثة ألفاظ للتعبيرعن قوم لوط ، وهذه الألفاظ هي (قوم لوط ، آل لوط ، أهل لوط) ، ولعل تنوع هذه الأوصاف يرجع إلى اعتبارات مختلفة منها :" أن لوطًا كان مرسلًا إلى طائفة من قوم (إبراهيم) . عليه السلام هم معارف لوط " (٢) ، فلوط لم يكن منهم ، وهم لم يكونوا قومه حقيقة ، يؤيد هذا ذلك الوصف الفريد الذي جاء فيه وصف قوم (لوط) بإخوان لوط في قول الله تعالى ﴿وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾﴾[ق:١٣] ، فقد "جعل لوط . عليه السلام أخًا لقومه، ولم يكن من نسبهم ،وإنما كان نزيلا فيهم؛ إذ كان قوم لوط من أهل فلسطين من الكنعانيين، وكان لوط . عليه السلام عبرانيًا وهو ابن أخي إبراهيم . عليه السلام ولكنه لما استوطن بلادهم وعاشر فيهم وحالفهم

(١) اختلف المفسرون في تحديد المراد من (آل لوط) في هذه الآية إلى : لوط وابنتيه ، وقيل : آل لوط الذين صدّقوه واتبعوه على دينه ، وقيل : أتباعه الذين كانوا على دينه ، وقيل : لوط ورهطه / ينظر / تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣١٢)، جامع البيان للطبري (٢٢/ ٥٩٦)، مفاتيح الغيب للرازي (١٩/ ١٥٣) ، التفسير القرآني للقرآن/ د.عبد الكريم يونس الخطيب (١٣٩٠هـ)/ دار الفكر العربي – القاهرة / د. ت.(٤/ ٤٢٥) .

(٢) مفاتيح الغيب (١٣٢/٢٨).

وظاهرهم جعل أخا لهم كقوله تعالى﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [الإسراء:٢٧]" [١].

أما عن التعبير بلفظة (قوم) مع لوط ـ عليه السلام ـ فإن لها مدلولها ؛ حيث إن لفظة (القوم) تعني :عشيرة الرجل ، جاء في العين :" وقوم كل رجل شيعته ، وعشيرته "[٢] ، والقوم هم "الرجال[٣] الذين يقوم بعضهم مع بعض في الأمور، ولا يقع على النساء إلا على وجه التبع، كما قال عز وجل ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾﴾ [الشعراء:١٦٠] ، والمراد الرجال، والنساء تبع لهم.."[٤] ؛ لأن قوم كل نبي وجال ونساء ، ولعل التعبير بلفظة (قوم) التي تدل على الرجال . مع من أرسل إليهم لوط أنسب ؛ لأن هؤلاء القوم كانوا مشهورين (باللواط) وهو نكاح الرجال دون النساء ؛ لذا كان جزاء امرأة نوح في قوله تعالى ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [النمل:٥٧] ، بأن قال (*من الغابرين*)ولم يقل (من الغابرات) ؛ " لأنه أريد أنها ممن بقي مع الرجال ، فلما ضُمَّ ذِكْرُها إلى ذكر الرجال قيل:)من الغابرين)"[٥] .

---

(١) التحرير والتنوير (١٩/ ١٧٨).

(٢) كتاب العين (٥/٢٣١) (ق و م) . .

(٣) وإنما اقتصر هذا التعريف على الرجال فقط دون النساء استنادًا لقول الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ ﴾ ثم قال ﴿وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ﴾[الحُجُرات:١١].

(٤) الفروق اللغوية للعسكري (ص: ٢٨٠).

(٥) جامع البيان للطبري (١٢/٥٥١).

أما عن تعبير (آل لوط) فإن آل الرجل :" أهل بيته"[1] ، يريد هذا ما حكاه القرآن الكريم في سورة (الذاريات) أن الله تعالى أنجى من كان في قوم لوط من المؤمنين،وأنهم لم يكن فيهم من المسلمين إلا بيت واحد وهم (آل لوط) ، وذلك في قوله تعالى ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٣٥ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝٣٦﴾[الذاريات:٣٥ : ٣٦] ، يعني :" لوطًا وابنتيه ، وفيه إضمار ، أي فما وجدنا فيها غير أهل بيت، وقد يقال: بيت شريف يراد به الأهل"[2] ؛ لذا كان جواب قومه ﴿أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ۝٥٦﴾ [النمل:٥٦] ، ولعل تعبيرهم بلفظة (آل) دون لفظة (أهل) ؛ لأنهم أرادوا إخراج (لوط وابنتيه)من القرية دون غيرهم، وعللوا ذلك بكونهم (أناس يتطهرون)، وقد ساعد السياق اللغوي المتمثل في التعبير بلفظة (أناس[3])، وبالنظر في هذه اللفظة يتضح أنها على وزن (فُعال)، وعند (سيبويه)(فُعال) من صيغ الجموع..." [4]، وهو وإن كان جمعًا فالراجح أنه يدل على أدنى الجمع ، يؤيد هذا ما جاء في كليات (الكفوي) قوله :" من عادات القرآن أنه إذا كان المقام مقام التعبير عن المفرد يذكرالإنسان نحو قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ [الإسراء:١٣]، وإذا كان مقام التعبير عن الجمع يذكر الناس نحو قوله تعالى﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ۝٦١﴾[غافر:٦١] ؛ ولذلك لا يذكر الإنسان إلا والضمير

---

(١) مقاييس اللغة (١/ ١٦٠) (أ و ل) .

(٢) تفسير القرطبي (٤٨/١٧) .

(٣) وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم خمس مرات : [البقرة :٦٠] ، [الأعراف:٨٢] ، [الأعراف:١٦٠] ، [الإسراء :٧١] ، [النمل:٥٦].

(٤) شرح شافية ابن الحاجب – الرضي الأستراباذي (٢/ ٢٠٦).

الراجع إليه مفرد، ولا يذكر الناس إلا والضمير الراجع إليه ضمير جمع، وإذا كان المقام مقام التعبير عن طائفة منه يذكر الأناس نحو: ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ﴾[الإسراء:٧١]"[١]، وعلى هذا فلفظة (أناس) تدل على طائفة أو عدد قليل من الناس، يؤيد هذا ما روي أنس بن مالك . عليه السلام. «أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَرَادَ أَنْ يَكْتُبَ إِلَى رَهْطٍ، أَوْ أُنَاسٍ مِنَ الأَعَاجِمِ... الحديث [٢] »، وما روي عن عبد الرحمن بن يعمر الدؤلي : قَالَ: «أَتَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ بِعَرَفَةَ، فَجَاءَ أُنَاسٌ أَوْ نَفَرٌ مِنْ أَهْلِ نَجْدَ، قَالَ: فَأَمَرُوا رَجُلًا فَنَادَى: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ الْحَجُّ؟ فَأَمَرَ رَجُلًا فَأَذَّنَ: «الْحَجُّ يَوْمُ عَرَفَةَ....الحديث[٣]"، ففي كلا الحديثين شك من الراوي في لفظة (أناس) بين (نفر ، ورهط) ، والنفر:" من الثّلاثة إلى العشرة، يُقال: هؤلاءِ عشرةُ نَفَر، أي: عشرة رجال، ولا يقال: عشرون نفرًا، ولا ما فوقَ العَشَرة..." [٤] ، الرَّهْطُ: "عددٌ يُجْمَع من ثلاثةٍ إلى عَشَرةٍ..." [٥] ،ففي هذا دلالة على أن لفظة (أناس) تعني العدد القليل من الناس ، وكأن قوم لوط بقولهم (أخرجوا آل لوط من قريتكم) إنما يريدون لوطًا وابنتيه فقط دون غيرهم ممن تبع لوطًا ، ولعل السبب في هذا كون لوط نزيلًا فيهم وليس منهم ؛ لذا فهم لا يريدونه، وكذلك ابنتيه ؛ لأنهم يتعففون عن

---

(١) الكليات (ص: ١٩٩: ٢٠٠).

(٢) صحيح البخاري / كتاب اللباس / باب نقش الخاتم / رقم (٥٨٧٢)/((١٥٧/٧).

(٣) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء / أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (٤٣٠هـ) /السعادة – بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ = ١٩٧٤م. (٧/ ١١٩).

(٤) كتاب العين (٨/ ٢٦٧)(ن ف ر) .

(٥) السابق (٤/ ١٩) (ر هـ ط).

بناته، كما قالوا له ﴿قَالُواْ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنۡ حَقّٖ وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ ٧٩﴾ [هود:٧٩]، وأما بقية من تبع لوطًا فإنهم سيُبقون عليه عله يرجع إليهم بعد إخراج لوط وآله (ابنتيه)، وبهذا السياق تتمحض لفظة (آل) في هذه الآيات للدلالة على أقل الجمع وهو (لوط وابنتيه)، ويكون المعنِيُّ من الضمير في قوله (إنهم أناس يتطهرون) كما قال (ابن عطية) " والضمير عائد على (لوط) وأهله ، وروي أنه لم يكن معه غير ابنتيه وعلى هذا عني في الضمير هو وابنتاه "[1]، ثم يأتي الأمر الإلهي في قوله تعالى ﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ قَدَّرۡنَٰهَا مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ٥٧﴾ [النمل:٥٧] ، بإنجاء لوط وليس(آله) فقط ؛ بل (وأهله) معهم ، وهم من آمنوا به ، وقيل :" كان عدة الناجين منهم ثلاثة عشر "[2] ، فأهل لوط : من يدينون بدين لوط سواء أكانوا من أقربائه أم لم يكونوا من أقربائه ، جاء في (العين) :" وأَهْلُ الرَجل: زوجُهُ، وأخصّ الناس به، وأهل البيت: سكانه، وأهلُ الإسلام: من يدين به..."[3] ، وعلى هذا فالأهل " يكون من جهة النسب والاختصاص فمن جهة النسب قولك: أهل الرجل لقرابته الأدنين، ومن جهة الاختصاص قولك: أهل البصرة وأهل العلم..." [4] ، فإذا كان قرار قوم لوط بإخراج (آل لوط) من قريتهم ، كان الجواب الإلهي بإنجاء لوط ، وأهله ، وكل من آمن معه ، وفي هذا يقول (الرازي):"يحتمل أن يكون المراد من أهله أنصاره، وأتباعه الذين قبلوا دينه ،

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٢/ ٤٢٥).

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور/ إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (٨٨٥هـ) / دار الكتاب الإسلامي، القاهر/ (١٨/ ٤٦٦).

(٣) كتاب العين (٤/ ٨٩)(أ هـ ل).

(٤) الفروق اللغوية للعسكري (ص: ٢٨١).

ويحتمل أن يكون المراد المتصلين به بالنسب ..." [1]، فلفظة (أهل) تحتمل الأهل من جهة النسب (ابنتيه) ، والأهل من جهة (الاختصاص) وهم من يدينون بدينه ، ولكنه استثنى من هؤلاء الأهل امرأة لوط فإنها كانت تُسِرُّ الكفر ؛ لذا كانت من الغابرين الذين بقَوا في ديارهم للعذاب فهلكوا .

يتضح مما سبق أن التعبير القرآني في قصة (لوط) جاء مرة بلفظة (آل)، وأخرى بلفظة (أهل) ، فجاءت لفظة (آل) مع أهل بيت لوط (ابنتيه) لأن لفظة (آل) أخص من الأهل ، كما أن هناك لطيفة تكمن في اتفاق رسم اللفظة مع الدلالة، فالأهل هم أنصار الرجل، وأقرباؤه يجسد ذلك هذا التقارب في المخرج بين صوت (الهمزة) وصوت (الهاء)، ولكنهم ليسوا أقرباء بمنزلة (الآل)، فالقرابة في (الآل) أقوى وأشد ، يجسد ذلك هذا التماثل في المخرج والصفة بين الهمزتين (أَأْل)=(آل) فهم أهل ولكن من نوع خاص .

(١) مفاتيح الغيب للرازي (٣١٢/٤).

▪ آل بمعنى (الذرية):▪

بالنظر في قول الله تعالى ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٣﴾[1] ﴾[آل عمران:٣٣]، يتضح أن هذه الآية تنص على اصطفاء بعض الخلق واختيارهم للنبوة والرسالة، وأن هذا الاصطفاء إنما وقع (لآدم ونوحًا، وآل إبراهيم، وآل عمران)، والمعنى :"إن الله اختار هؤلاء وجعلهم صفوة العالمين بجعل النبوة والرسالة فيهم"[2] بعضهم من بعض، وعلى هذا فإن المراد بلفظة (آل) في هذه الآية (الذرية)، وقد ساعد السياق اللغوي لهذه الآية في تحديد المعنى المراد، وهذا السياق يتمثل فيما جاء بعد هذه الآية وهو قوله تعالى ﴿ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٣٤﴾[آل عمران:٣٣ : ٣٤]، فالمفسرون على" نصب ذرية على البدل(أي من آل إبراهيم وآل عمران) ، والمعنى:"أن الآلين ذريَّة واحدة متسلسلة بعضها متشعب من بعض..."[3]، والذرية:"اسمٌ يَجمعُ نَسل الإنسَانِ

---

(١) اختلف المفسرون في تحديد المراد من (آل إبراهيم وآل عمران) في هذه الآية إلى أقوال ، الأول : أي المؤمنين. "فآل الرجل"، أتباعه وقومه، ومن هو على دينه..، وقيل : آلَ إبْراهِيمَ إسماعيل وإسحاق وأولادهما. وآلَ عِمْرانَ موسى وهرون ، أي (ذريتهما) ، وقيل : الأهل والقرابة، ويقال للأتباع وأهل الطاعة / ينظر في ذلك / جامع البيان للطبري (٦/ ٣٢٦) ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (١/ ٣٥٤) ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/ ٤٢٣)، مفاتيح الغيب للرازي (٨/ ٢٠١).

(٢) تفسير المراغي/ أحمد بن مصطفى المراغي (١٣٧١هـ)/ شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر/ ط١، ١٣٦٥ هـ = ١٩٤٦ م.(٣/ ١٤٢).

(٣) ينظر / الكشاف (١/٣٥٤ ، ٣٥٥) ، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/ ٤٢٣).

مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى"[1]، وذرِيةُ الرجل:"أولاده، وأولاد أولاده من الذكور والإناث"[2]؛ ولذلك قال بعدها (بعضها من بعض) أي : متسلسل بعضها من بعض؛ لذا جاء التعبير بـ(من) ؛ حيث إن المقصود "بيان شدة الاتصال بين هذه الذرية، فمِن للاتصال لا للتبعيض أي: بين هذه الذرية اتصال القرابة، فكل بعض فيها هو متصل بالبعض الآخر ..." [3] ، وعلى هذا يكون المراد من آل إبراهيم "إسماعيل وإسحاق وأولادهما، وآلَ عِمْرانَ موسى وهارون ابنا عمران بن يصهر، وقيل عيسى، ومريم بنت عمران بن ماثان، وبين العمرانين ألف وثمانمائة سنة.... وهذا يعنى: أنّ الآلين ذرّية واحدة متسلسلة بعضها متشعب من بعض: موسى وهارون من عمران، وعمران من يصهر، ويصهر من فاهث، وفاهث من لاوى، ولاوى من يعقوب، ويعقوب من إسحاق. وكذلك عيسى بن مريم بنت عمران بن ماثان بن سليمان بن داود بن ايشا بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق، وقد دخل في آل إبراهيم . عليه السلام . رسول الله صلى الله عليه وسلم"[4] ، "وإنما خص هؤلاء بالذكر؛ لأن الأنبياء بأسرهم من

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر/ مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (٦٠٦هـ)/ تح: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي. / المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م. (٢/ ١٥٧).

(٢) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم/ نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (٥٧٣هـ)/ تح. د حسين بن عبد الله العمري – مطهر بن علي الإرياني – د يوسف محمد عبد الله/ دار الفكر المعاصر (بيروت – لبنان)، دار الفكر (دمشق – سورية)/ ط١، ١٤٢٠ هـ = ١٩٩٩م. (٤/ ٢٢٢٦).

(٣) التحرير والتنوير (٣/ ٢٣١).

(٤) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (١/ ٣٥٤ ، ٣٥٥).

نسلهم"[1]، كما حكاه قول الله تعالى عن إبراهيم -عليه السلام- ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾﴾[الأنعام:٨٤ : ٨٧] .

كما جاء لفظ (الآل)بمعنى (الذرية) في قول الله تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾﴾[2] [يوسف:٦]، وقوله تعالى ﴿يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾﴾[مريم:٦]، أما الآية الأولى فجاءت على لسان سيدنا (يعقوب)لسيدنا (يوسف) -عليه السلام- كما قال النَّبِي -صلى الله عليه وسلم- «**الكَرِيمُ، ابنُ الكَرِيمِ، ابنِ الكَرِيمِ، ابنِ**

---

(١) الوسيط في تفسير القرآن المجيد/ أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، النيسابوري، الشافعي (٤٦٨هـ)/ تح. الشيخ عادل أحمد عبد الموجود / دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان/ ط١، ١٤١٥ هـ = ١٩٩٤م. (١/ ٤٣٠) ، وينظر/ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٢/ ٢٦).

(٢) اختلف المفسرون في تحديد المراد من (آل يعقوب) في هذه الآية فقيل : أهل دين يعقوب، وملته من ذريته وغيرهم ، وقيل : بني يعقوب كلهم ، وقيل : أولاده ونسلهم أي: نجعل النبوة فيهم. وقيل: أهل دينه وأتباعهم ينظر/ جامع البيان (١٥/ ٥٦٠)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ٤٤٥) ، تفسير القرطبي (٩/ ١٢٩) ، البحر المحيط في التفسير/ أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (٧٤٥هـ)/ تح. صدقي محمد جميل/ دار الفكر – بيروت/ ١٤٢٠ هـ . (٦/ ٢٤٠).

الكَرِيمِ يُوسُفُ بنُ يَعْقُوبَ بنِ إِسْحَاقَ بنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ»[1]، فيعقوب عليه السلام يُذَكِّر يوسفَ عليه السلام بأن كيد إخوته له لا يجب أن يحوله إلى عداوة؛ لأن النِّعم ستتم أيضًا على هؤلاء فهم آلُ يعقوب، هم وأبناؤهم حَفَدة يعقوب، وسينالهم بعضٌ من عِزِّ يوسف وجاهه وماله، كما أتمَّها من قبل على إبراهيم الجد الأول ليوسف باتخاذه خليلا لله، وأتمَّ سبحانه نعمته على إسحاق بالنبوة "[2]، وعلى هذا فالمراد من (آل يعقوب) "نسله وذريته"[3] ، أي :" جميع إخوتك ومن أراد الله من ذريتهم "[4]، وفي هذا" إشارة إلى أنه سبحانه سيختاره للنبوة، وهذا هو تمام النعمة، وكمالها لمن أنعم الله عليهم من عباده، وكذلك سيكون إخوته «آل يعقوب» أنبياء، كما كان أبواهم إبراهيم وإسحق نبيّين."[5]، وهكذا تتسلسل النبوة في أسباطهم وذرياتهم حينًا من الدهر .

أما عن قوله تعالى﴿***يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦***﴾ [مريم:٦]، فجاءت على لسان سيدنا (زكريا) عليه السلام. الذي خاف أن تذهب النبوة من أهل بيته وتنتقل إلى الموالي من أبناء عمومته، فطلب من ربه أن يهب له وليًا لدنيًا يعبد الله ويرث النبوة والرسالة من (آل يعقوب) ومن ذلك ما روي عن (ابن عباس) رضي الله عنه. قال:«***كَانَ آخِرَ أَنبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ زَكَرِيَا بْنُ أَدْنَ بْنِ***

(١) صحيح البخاري (٤/ ١٥١) / كتاب (أحاديث الأنبياء) /باب (لقد كان في يوسف) / رقم (٣٣٩٠) .

(٢) تفسير الشعراوي – الخواطر/ محمد متولي الشعراوي (١٤١٨هـ)/ مطابع أخبار اليوم/ ١٩٩٧م . (١١/ ٦٨٥٦، ٦٨٥٧).

(٣) صحيح البخاري (٩/ ٣١) هامش / كتاب التعبير / باب رؤيا يوسف.

(٤) نظم الدرر (١٩/١٠).

(٥) التفسير القرآني للقرآن (٦/ ١٢٣٦).

مُسْلِمٍ وَكَانَ مِنْ ذُرِّيَّةِ يَعْقُوبَ قَالَ: يَرِثُنِي مُلْكِي، وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ النُّبُوَّةَ» [1]، فالميراث هنا " ليس ميراث مال، ولا متاع ، وإنما هو ميراث خلافة، يقوم فيها الخلف مقام السلف ... حيث يكون الولد وارثًا لاسم أبيه، واصلا سلسلة النسب الممتدة من الأجداد إلى الآباء ، إلى الأبناء ..." [2] ، فهم ذرية بعضها من بعض.

يتضح من العرض السابق للفظة (آل) في هذه الآيات أن معناها (الذرية) التي تجمع بدورها جميع نسل الإنسان من الذكور والإناث؛ وبهذا يكون هؤلاء الأخيار متصلو النسب بسلسلة لا تنقطع ، (فنوح) من ذرية (آدم) ، (وآل إبراهيم) من ذرية (نوح)، و(آل عمران)من ذرية (آل إبراهيم)، وهكذا فهي سلسلة متصل بعضها ببعض في النسب والهداية، ويترتب على هذا التسلسل أن تتشابه صفاتهم في الخير والفضيلة ما داموا جميعًا مصطفين، وما داموا جميعًا من سلسلة واحدة، ولعل هذا المعنى يضفي على الآيات ملمح الوحدة في كل شيء، الوحدة في النبوة والرسالة، فكل نبي تَبِع نبيًا في التوحيد والرسالة، وجميع الأنبياء ، وجميع الرسل يدعون إلى دين واحد وإلى إله واحد ، وإلى عقيدة واحدة ، وبالتالي الوحدة في الاتِّباع ، فجميع البشر ينبغي أن يعبدوا إلهًا واحدًا، ويعتقدوا دينًا واحدًا، مصداقًا لقول الله تعالى ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين للحاكم (٢/ ٦٤٥) / رقم (٤١٤٤).
(٢) التفسير القرآني للقرآن (٨/ ٧٢٤).

﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾[البقرة:١٣٦] ، لا يخرج عن هذا الانسجام والتناغم وهذه الوحدة إلا مَن ضل عن سبيل الهداية.

ـ مجيء (آل) للتوكيد بمعنى (الشخص نفسه):

إن المتأمل في قول الله تعالى ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾﴾[(١)][البقرة:٢٤٨] ، يرى أن هذه الآية تحكي حال الملأ من بني إسرائيل من بعد موسى لما تسلط عليهم أعداؤهم، طلبوا من نبيهم أن يجعل عليهم مَلِكًا، يقودهم لقتال أعدائهم، فأخبرهم أن الله بعث لهم طالوت ملكا، فاعترضوا عليه بأنه ليس من بيت الملوك، وليس عنده مال، ثم ساق إليهم آية تدل على ملك (طالوت) وهي أن يأتيهم التابوت الذي سلبهم إياه أعداؤهم، فيه سكينة من ربهم تسكن إليه نفوسهم وتطمئن ، ويرون فيه عزهم ومجدهم، وصلةَ حاضرهم بماضيهم، وقد وصف الله تعالى التابوت بأن فيه سكينة واطمئنانًا لهم؛ من حيث إنهم يرون في عودته بشرى بالسلطان والعزة ، والقوة ، وهذا التابوت فيه آثار من آثار (موسى وهارون عليهما السلام)، وقد فقدوه وقت أن ضُربت عليهم الذلة، وأخرجوا من

---

(١) اختلف المفسرون في تفسير (آل) في هذه الآية إلى قولين ، أما الأول ذهب إلى أن المقصود منه (آل موسى وآل هارون) كما يقتضيه ظاهر اللفظ ، وأما القول الثاني فذهب إلى أن المقصود منه (شخص موسى وهارون) / ينظر. التفسير الوسيط للواحدي (١/ ٣٥٨)، وتفسير البغوي (١/ ٤٣١) ، والكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (١/ ٢٩٤)، ومفاتيح الغيب للرازي (٦/ ٥٠٨) ، وتفسير القرطبي (٤/ ٦٢)، والبحر المحيط في التفسير (٢/ ٥٨٣)، والتحرير والتنوير (٢/ ٤٩٤).

ديارهم، فكانت الذلة مقارنة لذلك الفقد، والعزة مقارنة للبقاء [1]، وعلى هذا فمعنى كلمة(بقية):أي"الشيء النفيس المبارك"[2] الذي يحوي "بقية من علامات الأنبياء"[3]، أي(موسى وهارون)، فالتابوت "كان فيه رضاض[4] الألواح التي تكسرت ، وكان فيه عصا موسى . عليه السلام ، ونعلاه ، وعمامة هارون. عليه السلام وعصاه، وشيء من التوراة، وعلى هذا فالآل مقحم لتفخيم شأنهما "[5]، أي أن لفظة (آل) في هذه الآية توكيد لشخص موسى وهارون . عليهما السلام ، وقد ورد هذا . أي مجيء لفظة (آل) مقحمة للتوكيد. عن النبي صلى الله عليه وسلم. ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم. لأبي موسى الأشعري . رضي الله عنه. «***يَا أَبَا مُوسَى لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ***»[6] ، وأراد به من مزامير داود عليه السلام. نفسه؛ لأنه" لم يكن لأحد من (آل داود) من الصوت الحسن مثل ما كان لداود عليه السلام. ومنه قول (جميل) (من الطويل) :.

---

(١) ينظر / زهرة التفاسير (٢/٨٩٦،٨٩٥).

(٢) التحرير والتنوير (١٣٩/١٢).

(٣) معاني القرآن وإعرابه/ إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (٣١١هـ)/ تحـ. عبد الجليل عبده شلبي/ عالم الكتب – بيروت/ ط/١ ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨م. (٣٢٩/١).

(٤) ورضاض الشئ: فتاته. وكل شئ كسرته فقد رضرضته. والحجارة تترضرض على وجه الأرض، أي تتكسر/ ينظر/ تاج اللغة وصحاح العربية (٣/ ١٠٧٨) .

(٥) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (١/ ٢٩٣)، وينظر / تفسير البغوي (٢٩٩/١).

(٦) صحيح البخاري (٦/ ١٩٥) / كتاب فضائل القرآن/ باب حسن الصوت بالقراءة للقرآن الكريم) / حديث(٥٠٤٨) .

بثينةُ منْ آلِ النِّسَاءِ وإنَّمَا .... يكن لأدْنَى لا وِصَالَ لغائِبِ(١)

أي : (بثينة) من النساء ، وكأن الشاعر أراد بهذا الوصف أن (بثينة) شأنها شأن كل النساء يصلن حبال الداني القريب بالمودة ، أما الغائب فقد تقطعت حباله وتلك شيمهن ، وعلى هذا فبثينة من جنس النساء.

وقول الآخر (من الوافر) :.

يُلاقِي مِنْ تَذَكُّرِ آلِ ليلَى ... كما يَلْقَى السَّلِيمُ منَ العِدَادِ(٢)

والمعنى:. يلاقي من تذكر (ليلى) نفسها.

يفهم من هذا أن معنى لفظة (آل) في هذه الآية بمعنى(الشخص نفسه)، وعليه فإنه "يطلق على شخص الرجل آله ، فكأنه قيل : مما ترك موسى وهارون أنفسهما، فنسب تلك الأشياء النفيسة التي تضمنها التابوت إلى أنها من بقايا موسى وهارون شخصيهما ، لا من بقايا غيرهما ، فجرى (آل) هنا مجرى التوكيد الذي يراد به : أن المتروك من ذلك الخير هو منسوب لذات موسى وهارون عليهما السلام ، فيكون في التنصيص عليهما ذاتِهما

---

(١) ورد هذا البيت منسوبًا في بعض كتب التفاسير إلى (جميل بثينة)، ولم أعثر عليه في ديوانه / ينظر / جامع البيان (٢/ ٣٧)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي (٢/ ٢١٣) ، البحر المحيط في التفسير (٢/ ٥٨٣) ، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (٢/ ٥٢٤) ، اللباب في علوم الكتاب (٤/ ٢٧٦).

(٢) البيت بلا نسبة في الحيوان (٤/ ٣٨٢) ، جمهرة اللغة (١/ ٣٣٢) (ب هـ ر) ، تهذيب اللغة (١/ ٦٨) (ع د) ، تاج اللغة وصحاح العربية (٢/ ٥٠٧) (ع د) ، تاج العروس (٢٨/ ٣٦) (أ و ل) ، . العداد: اهتياج وجع اللديغ، وذلك إذا تمت له سنة مذ يوم لدغ هاج به الألم. وقيل: عداد السليم أن تعد له سبعة أيام فإن مضت رجوا له البرء، وما لم تمض قيل: هو في عداده.

تفخيم لشأنهما، وكان ذلك مقحما؛ لأنه لو قيل: مما ترك موسى وهارون لاكتفى، وكان ظاهر ذلك أنهما أنفسهما، تركا ذلك وورث عنهما..."[1] ، وقد ساعد (سياق الحال) المتمثل في قصة هذا التابوت مع بني إسرائيل، ونبيهم وإخباره إياهم بتولية (طالوت) ملكًا عليهم،وإخبارهم أن علامة بركة ملك طالوت عليهم أن يرُدَّ الله عليهم التابوت المقدس الذي كان قد أُخِذ منهم ، وإنما اكتسب هذا التابوت قدسيته مما بداخله من أشياء نفيسة تخص (موسى وهارون) نفسيهما لا أحد غيرهما، كما ساعد السياق اللغوي المتمثل في تكرار (لفظة) (آل) مع كل من (موسى ، وهارون) في قوله تعالى(مما ترك آل موسى وآل هارون) في جعل لفظة (آل) للتوكيد بمعنى(الشخص نفسه)، فقد ذكرت لفظة (آل) مع موسى وهارون على اعتبار كل واحد منهما آل مستقل بذاته، مختص بمزايا ليست في الآخر، فموسى تميز عن هارون بما كان فيه من الشدة في أمر الله ، وهارون تميز عن موسى بما كان فيه من اللين والاحتمال، يؤيد هذا ما جاء في القرآن الكريم حكاية عن موسى عليه السلام ﴿وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾﴾[القصص:٣٤]

فكأن كل واحد منهما أصل مستقل بنفسه له طبع خاص به، وكأن كل واحد منهما صار علمًا لأتباعه .

ومثل هذا قول الله تعالى ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ

(١) البحر المحيط في التفسير (٢/ ٥٨٣ ، ٥٨٤).

ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ [سبأ:١٣] ﴾[1] ، فالأمر في قوله تعالى(اعملوا آل داود) إنما هو لداود عليه السلام ، "وقد شرَّفه الله تعالى بأن خاطبه خطاب الجمع"[2] ، وعلى هذا يكون المراد من لفظة (آل) في هذه الآية هو (شخص داود نفسه)، ويكون الأمر في (اعملوا) لداود عليه السلام. كما قال الله تعالى﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴿٥١﴾﴾[المؤمنون:٥١] ، فظاهر الخطاب . كما قال السمرقندي . "للرسل جميعًا، والمراد به النبي صلى الله عليه وسلم خاصة "[3] ، وفي هذا يقول (الزمخشري) :" النداء والخطاب ليسا على ظاهرهما، وكيف والرسل إنما أرسلوا متفرّقين في أزمنة مختلفة، وإنما المعنى: الإعلام بأن كل رسول في زمانه نودي لذلك ووصي به..." [4] ، وقياسًا على هذا يمكن القول: إن الخطاب في هذه الآية (اعملوا آل داود شكرًا) إنما هو لشخص (داود) عليه السلام وقد خاطبه الله تعالى بخطاب الجمع وعمَّم له التكليف حسب النعم الكثيرة التي أنعم الله به تعالى عليه، في قوله تعالى﴿ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا

---

(١) اختلف المفسرون في تفسير (آل) في هذه الآية إلى كون الخطاب لداود وأهله ، أو إلى (داود نفسه) ينظر في ذلك / تفسير القرطبي (١٤/ ٢٦٨) ، تفسير ابن كثير(٦/ ٥٠٠)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٦/ ٦٧٩ ، ٦٨٠)، فتح القدير للشوكاني (٤/ ٣٦٥)، تفسير المراغي (٢٢/ ٦٧)، التفسير القرآني للقرآن (١١/ ٧٩٠)، تفسير البغوي – إحياء التراث (٣/ ٦٧٤) ، فتح البيان في مقاصد القرآن (١١/ ١٧٤).

(٢) تفسير القرآن العظيم/ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (٧٧٤هـ)/ تـح. سامي بن محمد سلامة/ دار طيبة للنشر والتوزيع/ ط٢/ ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩ م./ (٦/٥٠١) .

(٣) بحر العلوم/ أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (٣٧٣هـ)/ (٣/ ٨٢).

(٤) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٣/ ١٩٠).

يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ١٧ إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ ١٨ وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗۖ كُلّٞ لَّهُۥٓ أَوَّابٞ ١٩ وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ ٢٠﴾[ص ١٧ :٢٠]. وكذلك قول الله تعالى ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ٢٦﴾ [ص:٢٦].

فهذه الآيات تعدد نعم الله تعالى على داود عليه السلام من تسخير الجبال له ، والطير ، وتثبيت ملكه، وإتيانه فصل الخطاب، وكذلك اجتباء الله تعالى لداود عليه السلام بأن "جعله خليفة في الأرض، وهذا يدل على مكانته عليه السلام عنده واصطفائه..."(١) ، وفي هذا إعلاء لقدْره عليه السلام بجعله مَلِكًا نافذ الحكم، فقدروي عن ابن عباس رضي الله عنهما « **أنه عليه السلام كان أشد ملوك الأرض سلطانًا**(٢)» ، وكذلك قول الله تعالى ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗاۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ ١٠ أَنِ ٱعۡمَلۡ سَٰبِغَٰتٖ وَقَدِّرۡ فِي ٱلسَّرۡدِۖ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١﴾[سبأ: ١٠: ١١] ، ثم قال بعد ذلك في سليمان بن داود عليهما السلام ﴿وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهۡرٞ وَرَوَاحُهَا شَهۡرٞۖ وَأَسَلۡنَا لَهُۥ عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِۖ وَمِنَ ٱلۡجِنِّ مَن يَعۡمَلُ بَيۡنَ يَدَيۡهِ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَمَن يَزِغۡ مِنۡهُمۡ عَنۡ أَمۡرِنَا نُذِقۡهُ مِنۡ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ١٢ يَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٖ كَٱلۡجَوَابِ وَقُدُورٖ رَّاسِيَٰتٍۚ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ١٣﴾[سبأ:١٢ : ١٣] ،

---

(١) البحر المحيط في التفسير (٩/ ١٥١ ، ١٥٢).

(٢) اللباب في علوم الكتاب (١٦/ ٣٩٣) ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٦/ ٣٥٥) .

فنِعَمُ سليمان عليه السلام مضافة إلى نِعَمِ داود عليه السلام تستحق من داود عظيم الشكر، وإنما كان داود هو المختص بالشكر؛لأن "سليمان عليه السلام نفسه من نعم الله تعالى على داود عليه السلام.يحكي هذا قول الله تعالى ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾﴾[ص:٣٠] ، فهذه الآية وما بعدها تحكي "مناقب سليمان عليه السلام من جهة أنه من منن الله على داود عليه السلام ، وبأنها إتمام لما أنعم الله به على داود عليه السلام ؛إذ أعطاه سليمان ابنًا بهجة له في حياته، وورث ملكه بعد مماته.. " [١]، فسليمان عليه السلام ، إنما هو "هبة من هبات الله العظيمة، وعطاء من عطاياه الجليلة المسوقة إلى عبد من عباده المحسنين، ... ثم مدح الله تعالى سليمان عليه السلام بقوله« نِعْمَ الْعَبْدُ »، وهذا ثناء عظيم من المولى سبحانه وتعالى على سليمان عليه السلام ، وعلى داود عليه السلام أيضا؛ إذ كان ذلك الابن هبة له من ربه.."[٢] ، إضافة إلى "كون هذا الابن شبيها لأبيه في صفات الكمال في الفضيلة[٣] "ـ حيث وصف كلاهما بهذا الوصف (أوَّاب) [٤]، وفي"وصف سليمان عليه السلام بالصفة التي وصف بها أبوه داود عليه السلام، وهى (الأوَّاب) إشارة إلى أنهما على درجة واحدة من الاتصال بربهم، والرجوع إليه دائما" [٥]، فكل هذه النعم تستحق من داود الشكر، و "

---

(١) التحرير والتنوير (٢٣/ ٢٥٣).

(٢) التفسير القرآني للقرآن (١٢/ ١٠٨٠) ، وينظر / المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٥٠٣)، وفتح القدير للشوكاني (٤/ ٤٩٤).

(٣) مفاتيح الغيب للرازي (٢٦/ ٣٨٩) .

(٤) أي في قوله تعالى ﴿اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾﴾[ص:١٧]، وقوله تعالى ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾﴾[ص:٣٠] .

(٥) التفسير القرآني للقرآن (١٢/ ١٠٨٠).

لرؤيته كل هذه النعم . حال حياته . كان الأمر لشخصه بالعمل الصالح الدؤوب لشكر هذه النعم. " [1]

ومما يؤيد هذا ما أورده البيهقي في شعبه ،عن الفضيل بن عياض قال : « ***لما أنزل الله تعالى﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ١٣﴾ ، قَالَ داود : يَا رَبِّ، كَيْفَ أُطِيقُ شُكْرَكَ وَأَنْتَ الَّذِي تُنْعِمُ عَلَيَّ، ثُمَّ تَرْزُقُنِي عَلَى النِّعْمَةِ الشُّكْرَ، ثُمَّ تَزِيدُنِي فِي نِعْمَةٍ بَعْدَ نِعْمَةٍ، فَالنِّعْمَةُ مِنْكَ يَا رَبِّ، وَالشُّكْرُ مِنْكَ، وَكَيْفَ أُطِيقُ شُكْرَكَ؟، قَالَ: الْآنَ عَرَفْتَنِي يَا دَاوُدُ حَقَّ مَعْرِفَتِي***»[2] "

فهذا يدل على أن المأمور بالعمل والشكر هو داود نفسه وشخصه ، وليس لآله ؛لأنهم لم يجر لهم ذكر في الآيات.

يتضح من العرض السابق دور السياق اللغوي المتمثل في تكرار لفظة (آل) في قوله تعالى(وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون) في تحديد المراد من لفظة (آل)؛ حيث ساعد هذا السياق اللغوي في ترجيح معنى (شخص موسى وشخص هارون) على معنى (آل موسى وآل هارون)، وكأن اللفظة جاءت بمثابة توكيد ذات الشخص، أي أن هذا التابوت فيه بقية آثار موسى وهارون نفسيهما، فلكل منهما له بقية في التابوت.

كما يتضح دور سياق الحال المتمثل في تَعداد النعم التي أنعم الله تعالى بها على شخص (داود) .عليه السلام. نفسه ، والتي من أعظمها نعمة وهبه إياه سليمان .عليه السلام نعم العبد، والتي استحقت أن يخاطبه الله تعالى بخطاب

---

(١) التحرير والتنوير (٢٣/ ٢٥٣).

(٢) أورده البيهقي في شعب الإيمان/ مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند/ ط١، ١٤٢٣ هـ = ٢٠٠٣ م. (٦/ ٢٣٩) .

الجمع في قول الله تعالى (اعملوا آل داود شكرًا) ، وعليه تتمحض لفظة (آل) لتوكيد شخص داود عليه السلام نفسه.

الخاتمة :.

بعد هذه الجولة القصيرة مع لفظة (آل) في القرن الكريم تجلى مدى تناسب هذه اللفظة تحديدًا دون غيرها من مرادفاتها مع السياق التي ترد فيه وذلك لأن هذه اللفظة من الألفاظ المشتركة، والتي يمكن أن يعبر عنها بالألفاظ الجامعة التي لها معنى جامع عام وهو (الأهل)، ثم تفرع هذا المعنى العام إلى معانٍ فرعية يحددها السياق الذي ترد فيه.

وإذا كان (الكفوي) في كلياته قد نص على أن معاني (آل) ثلاثة معانٍ **أحدها:** الجند والأتباع نحو (آل فرعون).

والثاني: النفس نحو (آل موسى) و(آل هارون).

والثالث: أهل البيت خاصة نحو: (آل محمد).

فإن هذا البحث توصل إلى عدة نتائج من أهمها :.

. أن هذه اللفظة وردت في القرآن الكريم (ستًا وعشرين) مرة منها (أربع عشرة) مرة مع فرعون (آل فرعون)، وبهذا يكون(فرعون) استأثر وحده بلفظ (الآل) بنسبة (٥٣,٨)% من إجمالي مرات وروده ، وكأن سياق الموقف المتمثل في الأحوال الاجتماعية التي كانت سائدة في هذه الفترة ساعدت في وجود كل هذه الطوائف التي احتملها لفظ (آل) مضافًا إلى فرعون ، فهناك آل فرعون (أعوانه، وأشياعه، وظهيره، وعضده) الذين كانوا السبب الرئيس في عتوه وتجبره ، وهناك آل فرعون (أهل طاعته) جميعًا (مؤيدين له أو منكرين)، وهناك آل فرعون (أقاربه المقربون)، وهناك آل فرعون (الجواري والجنود)، ولعل السبب الرئيس في تنوع معاني هذه اللفظة أن (فرعون) كان

من سياسته التفريق بين الناس فقد ﴿جَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾[القصص:٤] ، أي فرقًا يستضعف طائفة منهم ، يذبح الأبناء، ويستحيي النساء ، ويجعل مجموعة للخدمة ، ومجموعة للرفعة ، ومجموعة مقربة له ، ففرق بين الناس على تمييز عنصري كان يتخذه ، وجعل بني إسرائيل في أدنى المنازل ، وسامهم سوء العذاب ، " وكان هذا الفعل من فرعون بأن جعل القبط ملوكا مستخدمين، وجعل بني إسرائيل عبيدًا مستخدمين، وهم كانوا الطائفة المستضعفة" (١) ، فالجميع مستخدم عنده ، ولكن كل طائفة مستخدمة للطائفة التي فوقها، ثم إن الجميع مستعبد للطاغية الأعظم (فرعون) الذي قال ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴿٢٤﴾﴾[النازعات:٢٤] ،وكأن هذا التفرق والانقسام إلى شيع أفرز هذه الطبقات التي نسبت كلها إلى (فرعون) فالجميع (آل فرعون) سواء أكانوا (أعوانه وأتباعه ، أم كانوا أهل طاعته ، أم كانوا أقرباءه المقربين ، أم كانوا خدمه وجواريه)، ولا أنسب من هذه اللفظة (الآل) التي تدل على (القرابة والاختصاص) من التعبير عن كل هذه الطوائف والطبقات .

. كما وردت هذه اللفظة (أربع مرات) مع لوط .عليه السلام. (آل لوط) ، وعني بها(ابنتاه)؛ لأن لفظة (آل) أخص من الأهل؛ لذا جاء التعبير بلفظ (آل) دون(أهل)، وقد ساعد اتفاق رسم اللفظة مع الدلالة فالأهل هم أنصار الرجل، وأقرباؤه يجسد ذلك هذا التقارب في المخرج بين صوت (الهمزة) وصوت (الهاء)، ولكنهم ليسوا أقرباء بمنزلة (الآل)، فالقرابة في (الآل) أقوى وأشد ، يجسد ذلك هذا التماثل في المخرج والصفة بين الهمزتين (أَأْل)=(آل) فهم أهل ولكن من نوع خاص.

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٢٧٦).

. كما وردت هذه اللفظة مرتين مع إبراهيم(آل إبراهيم) ، ومرتين مع يعقوب (آل يعقوب) ، ومرة واحدة مع عمران (آل عمران) وكان المراد بلفظة (آل) في هذه المواضع ***(الذرية)*** التي تجمع بدورها جميع نسل الإنسان من الذكور والإناث؛ وبهذا يكون هؤلاء الأخيار متصلو النسب بسلسلة لا تنقطع (فنوح) من ذرية (آدم) ، (وآل إبراهيم) من ذرية (نوح)، و(آل عمران)من ذرية (آل إبراهيم)، وهكذا فهي سلسلة متصل بعضها ببعض في النسب والهداية.

. وأخيرًا وردت لفظة (آل) مرة واحدة مع كل من (موسى، وهارون، وداوود)، وكان المراد منها في هذه الآيات (التوكيد بمعنى الشخص نفسه)، وقد ساعد السياق في توضيح معنى هذه اللفظة.

ويمكن جمع كل هذه المعاني بأن لفظة (آل) تستعمل في كل ما يختص بالإنسان سواء أكان بالقرابة أم بالاتباع والموالاة ، أي أن هذه اللفظة تجمع أقارب الإنسان ، وأتباعه، كما قال تعالى﴿ ***وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ*** ﴾ [المائدة:٥١] ، وقال تعالى﴿ ***فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي*** ﴾[إبراهيم:٣٦]، ففي هاتان الآيتان "أجرى الموالاة الدينية مجرى القرابة واللحمة"(١)

(١) تفسير الراغب الأصفهاني/ أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (٥٠٢هـ)/ جزء ١: المقدمة وتفسير الفاتحة والبقرة/ تح: د. محمد عبد العزيز بسيوني/ كلية الآداب – جامعة طنطا/ ط١/ ١٤٢٠ هـ = ١٩٩٩ م.(١/ ١٨٣ ، ١٨٤).

*. فهرس المصادر والمراجع :

ـ إحكام الإحكام شرح عمدة الأحكام/ ابن دقيق العيد/ مطبعة السنة المحمدية/ د. ت.

. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم/ أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (٩٨٢هـ)/ دار إحياء التراث العربي – بيروت.

ـ أساس البلاغة/ للزمخشري(٥٣٨هـ)/ تح: محمد باسل عيون السود/ دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان/ ط١، ١٤١٩ هـ = ١٩٩٨ م.

ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة/عز الدين ابن الأثير (٦٣٠هـ)/تح. علي محمد معوض – عادل أحمد عبد الموجود/ دار الكتب العلمية/ط١/ ١٤١٥هـ – ١٩٩٤ م.

. أصول النظرية السياقية عند علماء العربية ودور هذه النظرية في التوصل إلى المعنى/ د. محمد سالم صالح / أستاذ النحو والصرف والعروض المساعد/ قسم اللغة العربية/ كلية المعلمين بمحافظة جدة.

. الأمالي/ عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي، أبو القاسم (٣٣٧هـ)/ تح: عبد السلام هارون/ دار الجيل – بيروت/ ط٢، ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧ م.

ـ أنساب الخيل في الجاهلية والإسلام وأخبارها/ أبو المنذر هشام بن محمد أبي النضر بن السائب بن بشر الكلبي (٢٠٤هـ)/ تح: الأستاذ الدكتور حاتم صالح الضامن/ دار البشائر، دمشق – سورية/ ط١، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.

. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك /جمال الدين، ابن هشام (٧٦١هـ)/تح. يوسف الشيخ محمد البقاعي/ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

ـ البحر المحيط في أصول الفقه /للزركشي (٧٩٤هـ)/ دار الكتبي/ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

. البحر المحيط في التفسير/ أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (٧٤٥هـ)/ تح. صدقي محمد جميل/ دار الفكر - بيروت/ ١٤٢٠ هـ .

ـ بحوث في علم الدلالة بين القدماء والمحدثين/ د. مجدي إبراهيم محمد/ الهيئة المصرية العامة للكتاب /٢٠١٣م / صـ٨٣.

ـ بدائع الفوائد /ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ)/ دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

ـ البرهان في علوم القرآن /للزركشي (٧٩٤هـ)/تح .محمد أبو الفضل إبراهيم/ط١، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م/ دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.

. تاج العروس من جواهر القاموس/ للزَّبيدي (١٢٠٥هـ)/ تح .مجموعة من المحققين/ دار الهداية.

. تاريخ دمشق/ أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (٥٧١هـ)/تح. عمرو بن غرامة العمروي/دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع/ ١٤١٥ هـ = ١٩٩٥ م.

ـ تاريخ الرسل والملوك / محمد بن جريرالطبري (٣١٠هـ)/ دار التراث - بيروت / ط٢ - ١٣٨٧ هـ .

ـ التحرير والتنوير/الطاهر بن عاشور التونسي (١٣٩٣هـ)/ الدار التونسية للنشر - تونس/ ١٩٨٤ هـ.

ـ التعـازي والمراثـي والمـواعظ والوصـايا/ أبـو العبـاس، المعـروف بـالمبرد (٢٨٥هـ)/ تـح: إبراهيم محمد حسن الجمل/ نهضـة مصـر للطباعـة والنشر والتوزيع.

. تفسير الراغب الأصفهاني/ أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصـفهانى (٥٠٢هـ)/ جـزء ١: المقدمـة وتفسـير الفاتحـة والبقـرة/ تحقيـق ودراسـة: د. محمـد عبـد العزيـز بسـيوني/ الناشـر: كليـة الآداب – جامعـة طنطا/ ط١/ ١٤٢٠ هـ = ١٩٩٩ م.

ـ تفسير الشعراوي – الخواطر/ محمد متولي الشعراوي (١٤١٨هـ)/ مطابع أخبار اليوم/ ١٩٩٧م .

تفسـير القـرآن العظـيم/ أبـو الفـداء إسـماعيل بـن عمـر بـن كثيـر القرشـي البصري ثم الدمشقي (٧٧٤هـ)/ تـح. سامي بن محمد سلامة/ دار طيبة للنشر والتوزيع/ ط٢/ ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩ م.

. تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم / أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (٣٢٧هـ)/تح: أسـعد محمـد الطيـب/ مكتبـة نـزار مصـطفى البـاز – المملكـة العربيـة السعودية/ط٣ – ١٤١٩ هـ.

ـ التفسير القرآني للقرآن/ عبد الكريم يونس الخطيب (١٣٩٠هـ)/ دار الفكر العربي – القاهرة / د. ت.

ـ تفسير المراغي/ أحمد بن مصطفى المراغي (١٣٧١هـ)/ شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر/ ط١، ١٣٦٥ هـ = ١٩٤٦م.

. تفسير مقاتل بن سليمان(١٥٠هـ)/ تح. عبد الله محمود شحاته/ دار إحياء التراث – بيروت/ ط١ – ١٤٢٣ هـ.

ـ تفسير المنار / محمد رشيد بن علي رضا (١٣٥٤هـ)/الهيئة المصرية العامة للكتاب/ ١٩٩٠ م.

ـ تكملة المعاجم العربية / رينهارت بيتر آن دُوزِي (١٣٠٠هـ)/ نقله إلى العربية وعلق عليه:/ جـ ١ – ٨: محمَّد سَليم النعَيمي/ جـ ٩، ١٠: جمال الخياط/ الناشر: وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية/ ط١، من ١٩٧٩= ٢٠٠٠ م.

. تهذيب اللغة / أبو منصور الأزهري (٣٧٠هـ)/ تح: محمد عوض مرعب/ دار إحياء التراث العربي – بيروت / ط١، ٢٠٠١م.

. جامع البيان في تأويل القرآن/ محمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ)/ تح. أحمد محمد شاكر/ مؤسسة الرسالة/ ط١،١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠م.

ـ الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)/ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (٦٧١هـ)/ تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش/ الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة/ ط٢، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م.

. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري)/ محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري/ تح: محمد زهير بن ناصر الناصر/ دار طوق النجاة / ط١، ١٤٢٢هـ.

. جمهرة الأمثال/ أبو هلال العسكري (٣٩٥هـ)/ دار الفكر – بيروت.

ـ حديث علي بن حجر السعدي عن إسماعيل بن جعفر المدني/ إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير الأنصاري ، أبو إسحاق المدني (١٨٠هـ)/ تح: عمر بن رفود بن رفيد السّفياني/ مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض – شركة الرياض للنشر والتوزيع/ ط١: ١٤١٨ هـ = ١٩٩٨م.

. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء / أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (٤٣٠هـ) / السعادة – بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ = ١٩٧٤م.

. دراسة المعنى عند الأصوليين / د. طاهر حمودة / الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع . الإسكندرية / د. ت.

ـ الدر المصون في علوم الكتاب المكنون/ السمين الحلبي (٧٥٦هـ)/تح. الدكتور أحمد محمد الخراط/ دار القلم، دمشق.

. الدر المنثور في التفسير بالمأثور / عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي/ (٩١١هـ)/ دار الفكر – بيروت / د. ت

. الدر المنثور في طبقات ربات الخدور/ زينب بنت علي بن حسين ابن عبيد الله بن حسن بن إبراهيم بن محمد بن يوسف فواز العاملي (١٣٣٢هـ)/ المطبعة الكبرى الأميرية، مصر/ط١، ١٣١٢ هـ.

ـ دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث دراسة تحليلية للوظائف الصوتية والبنيوية والتركيبية في ضوء نظرية السياق د./ عبد الفتاح البركاوي /د. ت.

ـ دلالة السياق وأثرها في الأساليب العربية /د. دردير محمد أبو السعود/ مجلة كلية اللغة العربية بأسيوط/ عدد ٧/ سنة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

. زاد المسير في علم التفسير/ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (٥٩٧هـ)/ تح. عبد الرزاق المهدي/ دار الكتاب العربي – بيروت/ ط١– ١٤٢٢ هـ.

. الزاهر في معاني كلمات الناس/أبو بكر الأنباري (٣٢٨هـ)/ تح. د. حاتم صالح الضامن/ مؤسسة الرسالة – بيروت/ط١،١٤١٢هـ= ١٩٩٢.

. زهرة التفاسير/ محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (١٣٩٤هـ) / دار النشر:دار الفكر العربي / عدد الأجزاء:١٠.

ـ شرح الأشموني على ألفية ابن مالك/ نور الدين الأُشْمُوني الشافعي (٩٠٠هـ)/ دار الكتب العلمية بيروت– لبنان/ط١/ ١٤١٩هـ= ١٩٩٨م.

ـ شرح التصريح على التوضيح /خالد بن عبد الله الأزهري، زين الدين المصري، (٩٠٥هـ)/ دار الكتب العلمية –بيروت–لبنان/ ط١/ ١٤٢١هـ– ٢٠٠٠م.

ـ شرح السنة/ أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (٥١٦هـ)/ تح: شعيب الأرنؤوط–محمد زهير الشاويش/ المكتب الإسلامي – دمشق، بيروت/ ط٢، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م .

. شرح شافية ابن الحاجب/ الرضي الإستراباذي، نجم الدين (٦٨٦هـ)/ تح. محموعة من المحققين / دار الكتب العلمية بيروت – لبنان/ ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م.

ـ شرح شافية ابن الحاجب/ ركن الدين الأستراباذي (٧١٥هـ)/تح: د. عبد المقصود محمد عبد المقصود (رسالة الدكتوراه)/ مكتبة الثقافة الدينية/ ط١/ ١٤٢٥ هـ– ٢٠٠٤م.

ـ شرح الكافية الشافية/ ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله (٦٧٢هـ)/ تح. عبد المنعم أحمد هريدي/ جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي كلية الشريعة والدراسات الإسلامية مكة المكرمة/ ط١.

ـ شعب الإيمان/ أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني، أبو بكر البيهقي (٤٥٨هـ)/ تح. د. عبد العلي عبد الحميد حامد/ مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند/ ط١، ١٤٢٣ هـ = ٢٠٠٣ م.

ـ شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم/ نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (٥٧٣هـ)/ تح. د. حسين بن عبد الله العمري (وآخرين) / دار الفكر المعاصر (بيروت – لبنان)، دار الفكر (دمشق – سورية)/ ط١، ١٤٢٠ هـ = ١٩٩٩م.

ـ الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها / ابن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (٣٩٥هـ)/ الناشر: محمد علي بيضون/ ط١/ ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية/ أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (٣٩٣هـ)/ تح: أحمد عبد الغفور عطار/ دار العلم للملايين – بيروت/ ط٤/ ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م.

ـ الصوت اللغوي في القرآن / د. محمد حسين علي الصغير / دار المؤرخ العربي . بيروت . لبنان / ١٤٢٠ هـ . ٢٠٠٠ م.

ـ العقد الفريد/ ابن عبد ربه الأندلسي (٣٢٨هـ)/ دار الكتب العلمية – بيروت/ ط١، ١٤٠٤ هـ.

. علم الدلالة. دراسة نظرية تطبيقية . د. فريد عوض حيدر .

. علم الدلالة اللغوية / د. عبد الغفار حامد هلال / القاهرة / ط١/ ٢٠٠٠م.

. فتحُ البيان في مقاصد القرآن/ أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (١٣٠٧هـ)/ المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت/ ١٤١٢ هـ = ١٩٩٢ م

ـ فتح القدير/ محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (١٢٥٠هـ)/ دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت/ ط١ – ١٤١٤ هـ .

. فضائل الصحابة/ أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل (٢٤١هـ)/ تح.: د. وصي الله محمد عباس/ الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت/ ط١، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م.

ـ كتاب العين/ أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو الفراهيدي (١٧٠هـ)/تح: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي/ دار ومكتبة الهلال.

. الكتاب/ لسيبويه (١٨٠هـ)/تح.: عبد السلام محمد هارون/ مكتبة الخانجي، القاهرة/ط٣، ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م.

. الكشف والبيان عن تفسير القرآن/ أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (٤٢٧هـ)/ تح: الإمام أبي محمد بن عاشور/دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان/ ط١ ١٤٢٢هـ= ٢٠٠٢م.

ـ كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم/للتهانوي(١١٥٨هـ) تح: د. علي دحروج/ مكتبة لبنان ناشرون – بيروت/ ط١ – ١٩٩٦م.

ـ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل/ الزمخشري جار الله (٥٣٨هـ)/ دار الكتاب العربي – بيروت/ط٣ – ١٤٠٧ هـ.

. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية/ أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (١٠٩٤هـ)/تح. عدنان درويش – محمد المصري/ مؤسسة الرسالة – بيروت.

. اللباب في علوم الكتاب/ أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (٧٧٥هـ)/ تح. الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، والشيخ علي محمد معوض/ دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان/ ط١، ١٤١٩ هـ = ١٩٩٨م.

ـ لسان العرب/ ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (٧١١هـ)/دار صادر – بيروت /ط٣/ ١٤١٤ هـ .

. مجمع الأمثال/ أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري (٥١٨هـ)/تح. محمد محيى الدين عبد الحميد/ دار المعرفة – بيروت، لبنان.

. مجموع الفتاوى / ابن تيمية الحراني (٧٢٨هـ)/ تح. عبد الرحمن بن محمد بن قاسم/ مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية/ ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز/ ابن عطية الأندلسي(٥٤٢هـ)/ تح. عبد السلام عبد الشافي محمد/ الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت/ ط١ – ١٤٢٢ هـ.

ـ المحكم والمحيط الأعظم / ابن سيده المرسي [٤٥٨هـ]/تح.: عبد الحميد هنداوي/ دار الكتب العلمية – بيروت / ط١، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م.

. المخصص/ أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (٤٥٨هـ)/ تح: خليل إبراهم جفال/ دار إحياء التراث العربي – بيروت/ط١، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.

. المدخل إلى تقويم اللسان / ابن هشام اللخمي (٥٧٧هـ) / تح./ أ.د. حاتم صالح الضامن / دار البشائر الإسلامية / ط١/ ١٤٢٤هـ .٢٠٠٣م.

ـ المزهر في علوم اللغة وأنواعها / للسيوطي (٩١١هـ)/ تح.: فؤاد علي منصور/ دار الكتب العلمية – بيروت/ ط١، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.

ـ المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري المعروف بابن البيع (٤٠٥هـ)/تح. مصطفى عبد القادر عطا/ دار الكتب العلمية – بيروت/ط١، ١٤١١ هـ– ١٩٩٠م.

ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل/ (٢٤١هـ)/ تح. شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون/ إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي/الناشر: مؤسسة الرسالة ط١، ١٤٢١ هـ = ٢٠٠١ م.

. معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)/ محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (٥١٠هـ)/ تح. عبد الرزاق المهدي/ دار إحياء التراث العربي –بيروت/ ط١ ، ١٤٢٠ هـ.

ـ معاني القرآن/الفراء (٢٠٧هـ)/ تح. أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي/ دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر/ ط١ .

ـ معاني القرآن وإعرابه/ إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (٣١١هـ)/ تح. عبد الجليل عبده شلبي/ عالم الكتب – بيروت/ ط١ ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م.

ـ المعجزة الكبرى القرآن/ محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (١٣٩٤هـ)/ دار الفكر العربي د . ت.

. معجم الصواب اللغوي /أحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل/عالم الكتب، القاهرة/ ط١، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.

ـ معجم الفروق اللغوية/ أبو هلال العسكري (٣٩٥هـ)/ تح: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي/ مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم»/ ط١، ١٤١٢هـ.

. معجم اللغة العربية المعاصرة/ د أحمد مختار عبد الحميد عمر (١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل/عالم الكتب/ط١، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.

. معرفة الصحابة/ أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (٤٣٠هـ)/تح: عادل بن يوسف العزازي/ دار الوطن للنشر، الرياض / ط١/ ١٤١٩ هـ = ١٩٩٨م.

. مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)/ فخر الدين الرازي خطيب الري (٦٠٦هـ)/ دار إحياء التراث العربي – بيروت/ ط٣ – ١٤٢٠ هـ.

ـ المفردات في غريب القرآن/الراغب الأصفهانى (٥٠٢هـ)/ تح. صفوان عدنان الداودي/ دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت/ ط١ – ١٤١٢هـ.

ـ مقاييس اللغة/ ابن فارس /تح.: عبد السلام محمد هارون /دار الفكر/ ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

ـ النحو و الدلالة /د. محمد حماسة عبد اللطيف (مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي) / ط١ / القاهرة / ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م .

. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور/ إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (٨٨٥هـ) / دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

ـ النهاية في غريب الحديث والأثر/ مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (٦٠٦هـ)/ تح: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي. / المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م.

. الوسيط في تفسير القرآن المجيد/ أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (٤٦٨هـ)/ تح. الشيخ عادل أحمد عبد الموجود(وآخرين) / دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان/ ط١، ١٤١٥ هـ = ١٩٩٤م.